دراسات
في الفكر والأديان

محمد عبد الرحمن عوض

الاختلاف والاتفاق

بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة

السفير فتحي الجويلي

دمنهور

اهداءات ٢٠٠٢

السفير فتحي الجويلي

دمنهور

الاختلاف والاتفاق

بين

إنجيل برنابا

والأناجيل الأربعة

دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة
ص.ب : ١٦٩ ـ المعادى

دراسات في الفكر والأديان

الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة

محمد عبد الرحمن عوض



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

● اتفقت كلمة المسيحيين منذ قرون على أن الأناجيل الأربعة [متى ـ يوحنا ـ مرقس ـ لوقا] هى الأناجيل المقبولة عندهم ، وتظاهر علماؤهم على أن ما سوى هذه الأناجيل ـ ومعها بعض الرسائل ـ مرفوض ومزور .. وحرموا على أتباعهم قراءة هذه الكتابات المزورة .. وطردوا من يؤمن بهـا ويتبعها من الرحمة التى تضمنها الكنيسة لأتباعها ..

ولم تقدم الكنيسة لأتباعها أى ضمان لصحة هذه الكتب التى اختارتها سوى أنها اختارتها وارتضاها أهلها .. وفرضت عليهم .. بمقتضى الإيمان ـ أن يقبلوا ما قبلته الكنيسة وألا يناقشوا مضامينها وإلا تعرضوا للحرمان (*)

وقد نجحت الكنيسة فى أن تخلق رأيا عاما يتقبل وجهة نظرها ويعطـل عقله فى الأمور الدينية ، وقد بلغت الأمور ذروتها فى القرون الوسطى عندما أعطت الكنيسة لنفسها الحق فى متابعة أفكار الناس ، وخلقت جوا من الرعب والفزع فى أوروبا . وأشاعت روح الشك والعداوة بين أفراد الأسرة الواحدة إذ جعلت من الابن جاسوسا على أبيه ، ومن الزوجة عينا على زوجها والأخت على أخيها والأخ على إخوته .. ولقد ارتكبت حماقات كثيرة بهذا السبب حتى

(*) لم تقبل الكنيسة مناقشة أى من أفكار الكتاب المقدس الا فى حدود ما التزمت به من ادعاء الابن لله وتعدد الآلهة والخطيئة ... فاذا أدى البحث العلمى الى غير ذلك فان البحث ضلال وتجديف [راجع المسيحية نشأتها وتطورها ترجمة د. عبد الحليم محمود] .

جاءت أصوات تنادي بالإصلاح . وقد كبرت .. وعلت هذه الأصوات حتى أفرخت مذهبا دينيا جديداً فى أوروبا .. يختلف فى كثير من الأمور عن المذاهب المعروفة ــ من أرثوذكس وكاثوليك ــ وصار لهذا المذهب الجديد اسم مستقل (هو البروتستنت) وأتباع كثيرون .. وأصبح لهم ــ ولقساوستهم ــ الحق فى أن يصدروا الأحكام ، ويهبوا الرحمة والغفران لأتباعهم ، وهم الذين سبق أن طردتهم الكنائس وحرمتهم من الغفران .. ومنعت عليهم دخول الملكوت .

ولقد سقنا هذا الحديث لنوضح أن مسألة الإيمان والحرمان فى عرف الكنيسة مسألة نسبية .. فأتباع الكنيسة الغربية يؤمنون بإله تختلف طبيعته عن الإله الذى تدين له الكنيسة الشرقية .. فالأولى تؤمن بالمسيح إلهاً ذا طبيعتين .. لاهوتية وناسوتية .. أى أنه بشر وإله فى وقت واحد ــ أما الكنيسة الشرقية فهى تؤمن بالمسيح إلها ذا طبيعة واحدة لاهوتية فقط ..

- الكاثوليك ..
- الأرثوذكس ..
- البروتستنت ..
- الإله ذو الطبيعة الواحدة ..
- الإله ذو الطبيعتين ..

هل كل ذلك مسيحية واحدة ؟ أم أكثر من مسيحية وأيها نصدق ؟

بل لقد خرج تولوستوى على العالم بإنجيل جديد مزج فيه بين الأناجيل الأربعة [1] .. وخرج على الناس بديانة جديدة ..

« أما الشيء الخطير الذى أتاه تولستوى فانقلبت من أجله روسيا ظهراً لبطن تخطئة الكنيسة المسيحية في أكثر أمورها اذ أنكر عليها عقائدها بدعوى أنها من أوضاع البشر وتخالف أحكام الانجيل مخالفة صريحة فأثرت أقواله

---

(١) انظر : انجيل تولستوى وديانته عربه عن الروسية : سليم قبعين ــ طبع المطبعة المصرية سنة ١٩٠٤

فى عقول متنورى روسيا وحلقت بها الصحف فى سماء العالم الأوروبى حتى اجتمع لذلك المجمع المقدس فى عاصمة الروس برئاسة السيد أنطونى .. رئيس المجمع المقدس ومطران بطرسبرج ... » (٢) ..

ويتحدث تولستوى بصراحة ووضوح : « أن تعاليم الكنيسة لا تنحصر فى الإنجيل فقط بل وفى موضوعات رجالها التى لا تحصى وما تحتفظ به من التقاليد .. والأنكى من كل ما تقدم أن الكنيسة تحرم على أتباعها مطالعة الإنجيل والبحث فى قوانينها وهو تماد فى المغالطة لا يغتفر لجميع الكنائس الآخذة بالتقاليد والتعاليم المتخالفة .. إن الله سبحانه وتعالى قد كشف عن الحقيقة للناس وأوجد لهم نظامات وقواعد يسيرون بموجبها ثم إننى أحد المبصرين بالكتاب الذى أعطى للخلق ليفهموه من أنفسهم دون أن يسألوا تفسير معنى من معانيه » ..

فإذا كان ما فى الكتاب هو كلام الله تعالى فإنه سبحانه يعرف مقدار قصور عقلى وقلة إدراكى فكان يلزم أن يكون كلامه سهل المأخذ حتى لا يستعصى على إدراك أوامره وتعاليمه فأذهب فى تأويلها كل مذهب وقد أقع من ذلك فى ضلال مبين .. الخ ما قال (٣) ..

وإذا تقدمنا مع تولستوى قليلا نجده يتحدث عن اختيار الكتب التى فضلتها الكنيسة على غيرها دون سبب واضح وحكمت عليها بالخطأ دون أن توضح للناس ما استندت عليه .. فيقول (٤) .

« وقد حصر بعضهم عدد ما كتب منها فبلغ ما ينيف على المائة بين انجيل ورسالة ولم تعتبرها الكنيسة كلها كتبا منزلة بل اختارت منها سبعة وعشرين كتابا وأطلقت عليها اسم الكتب القانونية ولا ندرى السر فى اختيارها لهذا العدد من الكتب وتفضيلها اياه على غيره واعتباره مقدسا منزلا دون سواه مع أن الأشخاص الذين كتبوها هم فى نظرها رجال قديسون أتقياء خدموا المسيحية فى بدء ظهورها خدمات جليلة بتبشيرهم » ..

وياليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس سبب هذا

---

(٢) المرجع السابق كلمة المعرب ص ٤ ، ٥

(٣) المرجع السابق مقدمة المؤلف ص ١٥ ، ١٦

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

التفصيل فبينت اذ ذاك ما وجدته من الخطأ فى الكتب التى لم تعتبرها موحى بها بل اعتبرتها كتبا تاريخية وضعت لسرد تاريخ الكنيسة ..

ان الكنيسة عملت عملا باتقان واحكام ولكنها أخطأت خطأ لا يغتفر فى اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهدت عند ذلك التقسيم بأن تؤيد أن ما اختارته من الكتب هو الصحيح المنزل الموحى به من الروح القدس ، وكل حكمة واردة فيها هى من السماء ..

ويكفى هذا مما ذكره الفيلسوف الروسى لنتبين بعض الحقائق .. وآن لنا أن نقول إن هذه الحقائق هى التى دفعتنا إلى أن نعقد الموازنة بين كتاب تعتبره الكنيسة مزورا وهو « إنجيل برنابا » .. وتلك التى تعتبرها الكنيسة شهادة صحيحة لنرى أوجه الخلاف والاتفاق فلعل فى ذلك بعض الفائدة للحقيقة حتى تتفتح عيون المبصرين عليها ..

وقد نجد بعض نقاط الاتفاق بين إنجيل برنابا وغيره وهذا مهم إذ إن فى هذا تأكيداً لصحة إنجيل برنابا فيما اتفق فيه مع بقية الأناجيل التى تعتمدها الكنيسة ، وبالتالى فمن الصعب أن ترفض صحة نفس الإنجيل فى بقية النقاط .. وهذا من وجهة النظر المسيحية ففى كتاب اتفاق البشائر وعرضها عرضا موضوعيا يقول المؤلفون « ولا ريب عندنا أن القارىء فى النهاية يزداد إجلالا لقدر كتاباتهم وثقة بصدقها بسبب هذه الفروق عينها أكثر مما لو اتفقت رواياتهم اتفاقا حرفيا فى كل شىء .. ويجب ألا ننسى أن كل مسعى لتعظيم أهمية هذه الفروق لم يؤد حتى الآن إلا إلى ازدياد الإعجاب باتفاق البشائر كوثائق تاريخية فإن أقوى حجة لصدق شهادة البشيرين فى الأمور الجوهرية هى استقلال كل من الأناجيل عن غيره مع مطابقته لها فى الجوهريات كما يتضح من ترتيب متونها بإزاء بعضها البعض .

فمن الصعب أن نتصور حجة لصحة الوثائق التى تبنى عليها الكنيسة المسيحية إيمانها بشخص مؤسسها وأعماله أشد إقناعا من هذه الفروق عينها فى شهادات الذين شهدوا له » [٥] ..

---

(٥) انظر اتفاق البشائر أصدرته جمعية نشر المعارف المسيحية فرع مصر وفلسطين والمطبعة الأمريكانية فى بيروت سنة ١٩٣١ ص ٤ م .

فإذا أضفنا لذلك أن برنابا كان من الحواريين الأوائل وهذا ما لم يظفر به أحد من كتاب الأناجيل الأربعة غالباً (٦) كما أن برنابا هو الذى قدم بولس .. وتوسط ليقبله التلاميذ .. فإن كل ذلك يدفعنا إلى القول بأن اتفاق إنجيل برنابا فى بعض النقاط مع الأناجيل الأخرى يؤكد صحة هذا الإنجيل ويجعله فى مركز أقوى منها نظرا لمكانة كاتبه فى العصر المسيحى الأول (٧) .

إن اتفاق إنجيل برنابا وباقى الأناجيل حول الحقائق الجوهرية والقضايا الهامة يجعل هذا الإنجيل فى مكانه الصحيح خصوصا إذا عرفنا أن نقاط الخلاف بعد ذلك لا تعنى شيئاً إلا فى أوهام واضعيها وأتباعهم ..

إننا لا نقصد بالبحث أن ندافع عن كتاب أو ندحض غيره وإنما نريد أن نقر الحقائق ونساعد على أن يبصر المبصرون حتى يتعرف كل ذى عقل على الصحيح من الأفكار .

ومما يجدر بنا التنويه عنه أننا كمسلمين نؤمن بما أنزله الله على الأنبياء جميعاً من لدن آدم فنحن نؤمن بصحف إبراهيم وموسى .. ونؤمن بالزبور ونؤمن بالتوراة والإنجيل .. وغيرها .. نؤمن أن الله أنزل هذه الكتب على رسله وأنبيائه ، ولكننا فى الوقت نفسه نؤمن بأنها جميعا فى القرآن الكريم وليست فى سواه ولا يضيرنا فى هذا مزاعم الزاعمين ذلك أن أتباع هذه الكتب تصرفوا فيها وأخفوا منها أجزاء إلى غير ذلك .. ولذا فإن القارىء لبحثنا عليه أن يتدبر الأمر فلسنا ندعو لديانة تقوم على إنجيل برنابا أو غيره بل إننا نوازن بين الأفكار ليتبين لنا ولغيرنا . إن الحق واحد لا يتعدد ألا وهو الإسلام لله تعالى على منهج خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

المؤلف

---

(٦) تحوم الشكوك كثيراً — من باحثين مسيحيين وغيرهم — حول حقيقة مؤلفى الاناجيل .

(٧) انظر حقيقة برنابا ص ٢٨ من هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

شخصية برنابا وبولس

تمهيد :

دراسة الشخصية هامة لفهم الدعوة .. فالرسالات لا تنفك عن شخصيات الدعاة الذين يقدمونها للناس .. وخصوصا فى عهدها الأول ..

ولهذا فإن الله تعالى اختار الأطهار للرسالات كى يكونوا واسطة نقية يبلغون للناس وحيه ، لا يكذبون ، ولا يبدلون ، ولا يغيرون .. وهم دائماً محل ثقة من الناس قبل الرسالة وبعدها ..

ولهذا قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين » (١) ..

فكيف يكذب الرسول .. أى رسول من رسل الله تعالى .. والحال هذه ؟ أما إنهم محل ثقة من الناس قبل الرسالة وبعدها .. فهذا ما نلمسه فى حياة رسل الله صلى الله عليهم وسلم .. ولكن مخالفة بعض الناس لهم — كثر

---

(١) سورة الحاقة ٤٤ — ٤٧

هؤلاء المخالفون أم قلوا ــ ليس إلا اعتراضا على دعوة لم يعهدوها .. وليس إلا حرصاً على الموروث من عقائدهم ..

قال تعالى :

« فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ..

فإنهم لا يوجهون اعتراضهم إلى شخص النبى صلى الله عليه وسلم .. ولكن الجحود ــ عندهم ــ يرتبط بجمود قلوبهم وإنكارهم لآيات الله .. فليست القضية صراعا أو عداوة شخصية بين النبى وأعدائه ..

وانطلاقا من أهمية دراسة الشخصية نجد أن العقاد رحمه الله كان حريصا على دراسة الشخصيات الإسلامية وغيرها .. لأن حياة الشخص أقرب إلى تصوير المبادىء وتجسيدها فى واقع حى ملموس ..

وقد أصدر العبقريات وفيها تحليل واف لجوانب الشخصيات التى تناولها .. كما أصدر كتاب « حياة المسيح » وفيه تصوير لنقاء الرسالة المسيحية .. وعظمة داعيتها المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

بل لقد وجدنا كاتبا مسيحيا يتناول شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم وأقصد به الأستاذ نظمى لوقا فى كتابه .. محمد الرسالة والرسول .. وهذا يبين لنا أهمية دراسة الشخصيات التى تحمل المبادىء فى الأيام الحاسمة .. ولعل من أهم الشخصيات التى تواجه قارىء الإنجيل ودارسه شخصية بولس أو « شاؤل » قبل تحمل عبء التبليغ وادعاء الوحى ..

ولقد ترددت كثيراً وأنا أفكر فى تناول شخصية بولس بالدراسة والتحليل وكان من أسباب ترددى :

١ ــ أنه ما من دراسة للمسيحية ــ تأييداً أو معارضة ــ إلا وتناولت هذه الشخصية .. ولعل فى هذه الدراسات الغناء لمن أراد أن يتعرف على شخصية بولس .

٢ ــ لعلم مقارنة الأديان باع واسع فى تحليل مبادىء بولس وتكييفهــا حسب ما يراه الدارس ويقتنع به علميا ..

٣ ــ إن المعلومات عن بولس فى الأناجيل الأربعة تكاد تكون معدومة ولا تغنى شيئاً .. لأن الأناجيل تتناول فترة حياة المسيح عليه السلام .. وهذه الفترة كان بولس فيها عدوا لدوداً للمسيحية فجاءت الإشارات لهذه العداوة كما أن بولس لم يشهد شيئاً من حياة المسيح ولم يقابله . ولكنى ــ رغم ذلك ــ أقدمت على دراسة هذه الشخصية النادرة من خلال الرســائل التى يعد هو محورها الأول وبطلها بلا منازع .. محاولا ــ جهد الطاقة ــ أن تكون الدراسة موضوعية لا تدفعها عواصف العواطف إلى متاهات الفكر ..

إنه من السهل أن يمسك المرء بقلمه ويكيل المديح والثناء بلا حســاب ولا حدود ..

ومن السهل كذلك .. أن يكيل الهجاء والتجريح بلا حساب ولا حدود ولكن ماذا فى النهاية ؟ إن هــذه الكلمات غير المحســوبة ــ مهــما كثرت وتلاطمت ــ ستذهب أدراج الرياح وستكون دائما نموذجا لسوء التقــدير والتصوير ..

إنه لا يثبت فى معيار العقل والفكر إلا ما هو معقول ومقبــول .. ولا يؤثر فى ضمير العقلاء إلا موضوعية البحث وحسن التقدير .. إننا لن نعمد إلى تجريح أو نقد فليس هذا هدفنا من هذه الدراسة إلا ما استوجبه النظر العقلى والتفكير المنطقى ..

ولهذا فإن القارىء قد يجد فى التعليق مالا يوافقنا عليه أو مالا يسره أن يقرأه .. فعليه أن يقرأ وأن يتفهم وجهة نظرنا ، وصدورنا مفتوحة بعد كل ذلك للنقد والتوجيه شرط أن يكون ذلك على أسس علمية ومنطقية ..

إن شخصية (بولس) من الأهمية بمكان فى التفكير المسيحى ومن منطلق هذه الأهمية كانت دراستنا . إذ إنها شــخصية عالميــة .. يعيش الملايين على ما غرسته من أفكار .. ومن هنا كان اهتمامنا بهذه الدراسة ..

ومنهجنا فى هذه الدراسة يعتمد على النصوص فى المقام الأول . إذ إننى من قراءتى للرسائل وجدت أنها لا تخلو من الإفصاح عن جوانب مهمة من شخصية بولس وتطلعاته الفكرية والدينية ، ولهذا فإن رائدنا النصوص والتعليق عليها حسبما يقتضيه السياق .. وقد نستعين فى التعليق بآراء بعض المفكرين إن كانت واضحة الدلالة ..

إنها دراسة متواضعة أقدمها لطلاب الحقيقة الذين يحبون أن تتفتح عيونهم على نورها ، ويرون أن نفوسهم لا تنتعش إلا بها .. أما الذين يكرهون الحقيقة ويعادون نورها .. فهؤلاء لا نهتم بهم .

كما تعرضت لشخصية برنابا (أو ابن الوعظ) وذلك لإلقاء الضوء على حقيقة هذه الشخصية وما تعرضت له من تعتيم وتجاهل . بل لقد حاولت بعض الأقلام أن تعرض لفكر برنابا على أنه تابع لما يدعو إليه بولس من أفكار فأين الحقيقة ؟ هذا ما حاولت استجلاءه من النصوص .

والباب مفتوح لتبادل الرأى والإقناع ..

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل



* * *

الفصل الأول

شاؤل [بولس]
فى سفر « أعمال الرسل »

أول إشارة لاسم (شاؤل) فى سفر أعمال الرسل جاءت فى الإصحاح السابع .. ذلك أنه لما تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين .. وانتخب سبعة رجال منهم « استفانوس » الذى كان مملوءاً بالروح القدس كما قالت عنه الرسالة ..

« رجلا مملوءاً من الايمان والروح القدس » [اصحاح ٦] .

وتكلم استفانوس أمام رؤساء الكهنة طويلا .. إلى أن قال « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائما تقاومون الروح القدس ، كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبئوا بمجىء البار الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه ..

فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم ، وصروا بأسنانهم عليه .. وينتهى المشهد بأن أخرجوه خارج المدينة ورجموه .. « والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاؤل .. وكان شاؤل راضيا بقتله » والنص المذكور يشير إلى ما يأتى :

● الجموع الثائرة التى لا تعرف التفاهم ، ولا تدرك من الحقيقة إلا ما تعتقده وتفعل أى شىء من أجل أن تحافظ على عقيدتها مهما كانت العقيدة هزيلة .. لأن العقيدة عندها تكون وسيلة للمحافظة على كيانها .. وهذه نقطة هامة أدركها شاؤل .

● إن هذه الجماهير توسمت فى شاؤل شيئاً ما جعلها تخلع ثيابها عند رجليه .. فلعلها أدركت حرصه على إيذاء المؤمنين بالمسيح عليه السلام ..

● إن شاؤل كان راضيا بقتل استفانوس .. وهذا ما جعل الشهود يأتمنونه على ثيابهم وحاجاتهم .

● لعل مصرع استفانوس .. ومنظر الجماهير الغفيرة التى تهجم عليه وترجمه كان له أثر كبير فى نفس شاؤل لا من حيث رأفته بالقتيل واشفاقه من الصورة التى قتل بها .. بل من حيث أهمية الجماهير وضرورة الاستعانة بها واستمالتها .

وفى أول الإصحاح التاسع من أعمال الرسل نجد الحديث عن التطور فى حياة شاؤل « أما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب . فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق — رجالا أو نساء — يسوقهم موثقين إلى أورشليم . وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاؤل شاؤل لماذا تضطهدنى ؟ فقال من أنت يا سيد .. فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس مناخس .. فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال ماذا ينبغى أن تفعل ؟ وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً . فنهض شاؤل عن الأرض وكان مفتوح العينين لا يبصر أحداً .. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب ..

هذا هو المشهد الأول من مشاهد الانقلاب فى حياة شاؤل ونحن نقدم ملاحظاتنا على النص وتتمثل فى :

● إن شاؤل كان يتمتع بدهاء وحيلة .. فهو قد ذهب إلى رئيس الكهنة يطلب منه أن يزوده بالرسائل كى يسوق إليه كل من تقع عليه يده من المسيحيين .. وفى هذا نجد شاؤل خادما مخلصا لدينه حانقا على الآخرين ..

لازال قلبه ينفث حقداً واضطهاداً .. بل إن الاضطهاد قد أخذ شكلا جماعيا فى نفسه فهو لا يكتفى بقتل المسيحيين الذين تصل إليهم يده .. بل استعان بسلطان رئيس الكهنة ليمد حقده إلى خارج حدود أورشليم .

● لازال شاؤل ملوث اليدين ملوث القلب من دماء الذين قتلهم أو أعان على قتلهم ..

● تحدث مفاجأة (بغتة) قرب دمشق إذ أبرق حوله نور من السماء وهذه المفاجأة تحمل الكثير من التساؤلات :

إذ كيف ينتقل شخص من العداوة المحضة إلى الاصطفاء ومراتب القديسين ؟ لو أنه انتقل من مرحلة الكفر الى الإيمان لأصبح الأمر هينا .. ولكنه يتحول بهذه البغتة إلى رسول فى عرف المسيحية بل ولا يدانيه أحد من تلاميذ المسيح فى هذه المرتبة إذ سيتفوق عليهم كما سنرى .

ألا يمكن أن تكون هذه حيلة وجدها شاؤل أجدى مما حمله من رسائل رئيس الكهنة ؟

لقد حدثت البغتة قرب دمشق .. أى بعد أن قطع من الشوط أكثره ولابد أن شاؤل [الذى رضى بقتل استفانوس وغيره] فكر كثيراً فى كيفية الوصول إلى هدفه ؟ لعله فكر فى أن تدمير الأشخاص وقتلهم قد يكسبهم روح البطولة ويحولهم إلى أساطير .. فكيف نقضى على المبدأ ؟ كيف يمكن القضاء على الأفكار حتى يتحول الرجال إلى أشباح ؟ .

ربما توصل شاؤل إلى هذه الحيلة وعرف كيف يدخل بها على التلاميذ .. ولا نتعجل الأمور ..

● فى هذا الموقف يتكلم صوت يسوع .. ربما موبخا .. أو محذراً ..

وقال له « صعب عليك أن ترفس مناخس » ولهذه الجملة دلالة كبرى .. فإنها تعبر عما فى نفس شاؤل .. إنه رأى نفسه أضعف من مواجهة أتباع

المسيح .. فربما كلم نفسه بهذه العبارة معلنا عجزه عن هذه المواجهة مما دفعه إلى تغيير مسلكه .. فهذه الجملة مع التحقيق هى من قول بولس لنفسه بصوت عال ثم أوهم ناقلها أنه مخاطب بها من النور الذى رآه .

● يؤيد هذا الاستنتاج أن الرجال المسافرين وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يبصرون أحداً .. فلماذا لا يكون هو صوت شاؤل بعد أن أوهم المسافرين معه بأنه تعرض لمفاجأة حيث وقع على الأرض وخرج الصوت بهذه العبارات منه فتوهموا أن الصوت قادم من مصدر آخر [1] . وكثيراً ما يحدث مثل ذلك إذ يظن الفرد أن الصوت قادم من بعيد فى حين أن المتحدث يكون بجواره .. وهذا أمر واضح فى الحياة العادية فما بالك إذا كان فى الأمر خدعة محبوكة .. ومفاجأة جعلت المسافرين يقفون مبهوتين لا يدرون ماذا يفعلون .

● ولكن لم كانت مثل هذه الحياة ؟ ولم قام شاؤل مفتوح العينين وهو لا يبصر ؟ كما زعم .. إنه أراد بذلك أن يصل إلى أمرين :

الأول :

أن يقنع من حوله — ليشيع الأمر عنه — أنه تعرض لأمر خارج عن العادة أمر معجز .. وفى هذا ما يضمن له أن يحقق أهدافه فى سهولة ويسر .. إذ إنه لا يتحدث من نفسه بل يتحدث بعد أن امتلأ بالروح القدس .. والامتلاء بالروح القدس سهل ميسور خصوصا بعد هذه المفاجأة وأمثالها ..

الثانى:

أما الأمر الثانى الذى أراده شاؤل لنفسه أن يلحق بالتلاميذ الذين رأوا المسيح وعايشوه وأخذوا عنه ، وهو لا يدانيهم فى هذا الفضل .. فلم لا يجعل لنفسه هذا الشرف الذى فاته ؟

● وتتم الحبكة للقصة بالعمى .. إذ يقوده الرجال ويدخلونه إلى دمشق فلا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ..

---

(١) ولعل الأمر كله لا يعدو اسطورة تناقلتها الرواة وصدقها الناس دون أن يكون لها ظل فى الحقيقة كما سيظهر فى الفقرة التالية ..

والآن علينا أن ننظر ماذا حدث بعد ذلك لشاؤل :

ويبين الإصحاح نفسه ما حدث فى دمشق إذ لابد أن يكون فى انتظار شاؤل معجزة أخرى يسترد بها بصره .. ويتم له بها التربع على عرش التفكير المسيحى بأجمعه .. وتتمثل المعجزة فى رؤيا لتلميذ اسمه « حنانيا » كان بدمشق .. إذ رأى حنانيا فى الرؤيا أن الرب يناديه ويأمره أن يذهب إلى شاؤل « واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاؤل . لأنه هو ذا يصلى » .. وقد رأى شاؤل فى رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكى يبصر » .. وعندما تخوف حنانيا من هذا المدعو شاؤل قال له الرب : « اذهب لأن هذا لى إناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك بنى إسرائيل ، لأنى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى » .

وهنا تظهر تتمة التدبير ..

● فهناك سلاح الرؤيا الذى يمكن أن يفعل الكثير .. فالتلميذ يرى رؤيا كى يذهب إلى شاؤل .. وشاؤل يرى رؤيا ينتظر بها التلميذ حنانيا .

● وفى هذه الرؤيا تتغير معالم شخصية شاؤل شيئا فشيئا :

١ ــ فهو قائم يصلى (بعد أن كان عدوا للأتباع) .

٢ ــ إن شاؤل جالس فى انتظار حنانيا وكأنه ينتظر التعميد أو لحظة البدء فى مرحلته التى يحمل أعباءها .

٣ ــ وفى النهاية يتحول شاؤل إلى الوعاء (الإناء المختار) ليحمل اسمى أمام أمم .

٤ ــ تعطى العبارة صفة القداسة لشاؤل إذ إنه (ينبغى أن يتألم من أجل اسمى) وعلى هذا فإن شاؤل يسير فى نفس طريق التلاميذ .. مما يجعل كلامه أقرب الى المقبولية فى الأوساط المسيحية ..

ويستمر الإصحاح فى سرد القصة بأن حنانيا وضع يده على شاؤل قائلا : « أيها الأخ شاؤل قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق

الذى جئت فيه لكى تبصر وتمتلىء من الروح القـــدس . فللوقت وقع من عينيه شىء كأنه قشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد . وتناول طعاما فتقوى . وكان شاؤل مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما . وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح .. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هـــذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم ، وأما شاؤل فكان يزداد قوة ، ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققا أن هذا هو المسيح » .

وتكتمل خيوط القصة فى هذا الجزء من الرواية .. فيذهب حنانيـــا .. ويكتمل تعميد شاؤل على يد أحـــد التلاميـــذ إلا أننـــا نلاحظ فى العبـــارة ما يأتى :

● تأكيد حنانيا على ما رآه شاؤل فى الطريق إلى دمشق رغم أنه ليس هناك ما يدل على معرفته بما حدث إذ إن الرؤيا التى رآها حنانيا اقتصرت على الأمر بالذهاب لشاؤل .. وأظن لو أن حنانيا جاءه شىء بخصوص ما حدث لكانت الرؤيا أشارت إلى ذلك خصوصا وأن الرؤيا ذكرت ما هو أقل شأنا من ذلك ..

● يسقط من عينى شاؤل شىء كأنه قشور .. ولو كان الأمر انبهاراً من النور فى طريق دمشق لما كان هناك ما يدعو لوجود قشور . .ثم ما قيمة ذكر هذه القشور إلا لإيهام العامة بأن شيئا ما قد حدث ويجدون آثاره المادية .. لقد سمعنا عما أصاب يعقوب عليه السلام إذ فقد بصره بعد غياب ابنه يوسف عليه السلام . .ثم ارتد له بصره بعد عودته .. بل إن المسيح عليه السلام قد شفى على يديه كثيرون من العمى .. وما وجدنا أثراً لشىء يتساقط فما بال شاؤل يطرأ عليه طارىء يفقده بصره .. وعند عودة بصره تتساقط قشور ؟ ألا يمكن أن تكون هذه حيلة للإقناع أكثر منها حقيقة واقعة ؟ .

● ينطلق لسان شاؤل بالقول .. فى المسيح .. ولم يمر وقت يسمح بأن يكوّن فكرة عن المسيح غير تلك التى كان يعتنقها .. إلا أن الامتلاء بالروح القدس عندهم يجعل كل شىء ممكنا ..

وتستمر الرواية أن اليهود حاولوا أن يقتلوا شاؤل « فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور مدلين إياه فى سل » .

وفى هذه التتمة نلاحظ أن شاؤل قد بدأ يأخذ وضع الجانب الآخر .. جانب المسيحية المضطهدة .. ويأخذ إطار البطولة .. حيث يتحول التلاميذ إلى جنود وخدم له وهنا تتبلور بعض جوانب الأسطورة فى شخص شاؤل

« ولما جاء شاؤل إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ (*) فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع .

فكان معهم يدخل ويخرج .. وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه . فلما علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس » .

والنص يعطى استمراراً للتصور السابق ..

● فيظهر شاؤل فى مجمع التلاميذ أول الأمر فيتحاشونه ، ويتباعدون عنه إلا أن برنابا يتوسط له عندهم ويقنعهم بقبوله ويشهد له . ولا ندرى كيف عجز التلاميذ عن معرفة التحول الطارىء .. ؟

● وهكذا نرى أن أحد الحواريين يكون فى خدمة الأسطورة الشاؤلية ويتحول الآخرون إلى السلبية والخوف .

● لأول مرة نسمع وصف شاؤل بأنه تلميذ ..

● « فكان معهم يدخل ويخرج » بيان لمدى الامتزاج بالتلاميذ وفى هذا تهيئة للنفوس كى تتقبل منه كل ما يقول ..

● « كان يخاطب ويباحث اليونانيين » هنا كشف لجانب جديد من

(*) عجز التلاميذ عن معرفة ما حدث من تحول فى حياة بولس ، ولم يسعفهم الروح القدس بالمعرفة فهل خلا هؤلاء التلاميذ من الروح ؟

جوانب شخصية شاؤل .. تلك الشخصية الجدلية المتأثرة بالفلسفة اليونانية .. وهذه الفلسفة هي التي انعكست في فكر شاؤل بعد ذلك .

● مرة أخرى يحرص الإخوة [ولعلهم التلاميذ الذين وضعوا دائماً في خدمته] على حياته فأحدروا شاؤل إلى قيصرية .. ثم أرسلوه إلى طرسوس .. وهي عملية تهريب [أو إنها إنقاذ] لا تختلف عما حدث في دمشق حين أنزلوه من السور في سل .. ولعل هذا كله من أجل إكساب شاؤل الشخصية ذات الطابع البطولي الأسطوري ..

● وقفة أخيرة مع هذا النص الذي به ينتهي الحديث عن شاؤل في هذا الإصحاح .. حيث كان نهاية المطاف بشاؤل في طرسوس .. وهو كما قرأنا رجل طرسوس .. فهو الآن في مسقط رأسه .. ولا فائدة هنا من ذكر ذهابه إلى طرسوس إلا أن يكون في الأمر شيء .. ولا فائدة للدعوة من ذلك إلا أن يكون شاؤل قد ذهب لإعداد العدة للانطلاق تحقيقاً لما أراد تحقيقه من رحلة دمشق .

وهنا ينتهي الحديث عن شاؤل في هذا الإصحاح .. لتمر ثلاثة إصحاحات لا يرد فيها ذكر شاؤل .. وتتوقف عند الإصحاح الثالث عشر حيث يعاود الحديث عن شاؤل .. في صورة أخرى وقبل أن نستعرض عبارات من هذا الإصحاح نشير إلى بعض الملاحظات :

● إن شاؤل ظل بهذا الاسم في قيصيرية وطرسوس ولا ندري متى رجع إلى أورشليم .. كما أننا لا نعلم المدة التي قضاها في طرسوس .. كما لا نستطيع أن نجزم بما كان يفعله هناك ..

● عندما عاد شاؤل بدأ في الموعظة ، ونلاحظ أنه أفرز لهذا العمل هو وبرنابا دون غيرهما ، ولا ندري السر في ذلك .. ولعل اختيار برنابا كان مكافأة له على موقفه من شاؤل إذ إنه قدمه للتلاميذ .. وعرفهم أن شاؤل أصبح تلميذا ..وهذا عمل جليل من برنابا إذ شهد لشاؤل ورفع مكانته فلا أقل من أن يختار في هذا الإصحاح داعية .. يؤيد شاؤل أمام الجميع ، وسنداً له أمام الجماهير ..

● تغير اسم شاؤل وأصبح « بولس » .. ولا تعطينا الرسالة تفسيراً معقولا لهذا .. اللهم إلا إذا كان الهدف تخليص شاؤل نهائيا من كل ما يربطه بأيام القتل الجسدى .. فهو إذا كان قد وجد نوراً فى الطريق .. وكلمه الرب .. والجمع لا يرون .. وكانوا مسافرين معه وإذا كان حنانيا قد وضع يده عليه فعاد إليه بصره .. فما الداعى لأن يبقى اسم شاؤل خصوصا وأن المسيح قد غير أسماء بعض الأتباع مثل سمعان الذى أصبح بطرس .. فلماذا لا يكتسى شاؤل بهذه الثياب ؟

وتغير اسم شاؤل إلى بولس دون مقدمات والآن علينا أن نتابع نصوص الاصحاح الثالث عشر .

[وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه . فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما] ..

وهذه العبارات تبين أن الروح القدس طلب أن يفرز برنابا وشاؤل للعمل .. وهنا نلحظ تقدم برنابا .. وهذا طبيعى نظراً للسبق فى كافة الميادين فبرنابا التقى مع المسيح [٢] شاؤل لم ينل هذا الشرف اللهم إلا ما حدث فى رحلة دمشق إذ سمع صوتاً ولم ير أحد شيئاً .. وقيل إن صوت الرب كلمه !! إلا أن أحداً لم يسمع شيئاً .. ولم ير شيئاً .. فليس هناك قرينة شاهدة على صحة ذلك ..

وإذا كنا قد رأينا شاؤل وبرنابا قد أفرزا للخدمة فإننا لا نسمع إلا صوت شاؤل الذى دعى بولس .. ولم نسمع لبرنابا قولا أو حجة .. وكأنه قد استمر فى دور المساند لبولس .. ذلك الدور الذى قام به برنابا خير قيام ..

((ولما صار النهار .. أرسل الولاة الجلادين قائلين اطلق ذينك الرجلين . فأخبر حافظ السجن بولس بهذا الكلام ... فقال لهم بولس ضربونا جهراً غير مقضى علينا ، ونحن رجلان رومانيان ، وألقونا فى السجن أفالآن يطردوننا سراً ؟ كلا ... بل ليأتوا هم أنفسهم ، ويخرجونا فأخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام فاختشوا لما سمعوا أنهما رومانيان)) .. [أ ع ١٦ : ٣٥ – ٤٠] .

---

(٢) وذلك على ما رجحناه من أن برنابا من الحواريين الذين اختارهم المسيح عليه السلام .. راجع ما كتبناه تحت عنوان « حقيقة برنابا والحواريين » .

● وهنا نجد بولس ينتقم لنفسه إذ يدعى أنه وزميله « سيلا » رومانيان .. وذلك كى يوضح أنه « غير مقضى عليه » .

● يأبى بولس إلا أن يحضر الولاة بأنفسهم .. ولا يذكر شيئاً عن العفو أو التسامح .. ولكنها الكرامة الشخصية أهم لديه من كل شىء فهى التى برت له الادعاء بالرومانية ، وهى التى دفعته لأن يقف هذا الموقف من الولاة ..

● من العجب أن هذا الادعاء قد سبقه الحديث عن معجزة ظهرت بتشقق جدران السجن .. وتزعزعت أساسات السجن .. ومثل هذه المعجزة ــ لو صحت ــ لا تستدعى منه الكذب معها وادعاء أنه رومانى .

● ليست هذه هى المرة الوحيدة التى يزعم فيها بولس أنه رومانى .. [أ ع ٢٢ : ٢٥ ــ ٢٩] « فجاء الأمير وقال له قل لى : أنت رومانى ؟ فقال نعم .. فأجاب الأمير أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية فقال بولس أما أنا فقد ولدت فيها . فللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه واختشى الأمير لما علم أنه رومانى ولأنه قيده » .

وهكذا يزعم بولس أنه ولد من رعايا الرومان ولذا فقد تفوق على الأمير الذى اشترى هذه الرعوية بمبلغ كبير ..

* * *

حقيقة حنانيا وموقفه من بولس :

نطالع تلك الرسالة [أعمال الرسل] من أولها إلى آخرها .. فنجد اسم حنانيا يتردد فى موضعين اثنين .. متعلقين ببولس .

● الموقف الأول هو .. مشهد الرؤيا فى الطريق إلى دمشق .. وفى هذا المشهد نجد حنانيا .. هو المنقذ الذى رد البصر إلى بولس .

● الموقف الثانى ونجده فى [أ ع ٢٤ : ١ ــ ٨] ونستعرض معا هــذه الفقرة التى تقول :

« ... وبعد خمسة أيام انحدر حنانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ وخطيب اسمه ترتلس فعرضوا للوالى ضد بولس . فلما دعى ابتدأ ترتلس فى الشكاية قائلا .. اننا حاصلون بواسطتك على سلام جزيل ، .. ولكن لئلا أعوقك أكثر التمس أن تسمعنا بالاختصار بحلمك ، فاننا اذ وجدنا هذا الرجل مفســداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين فى المسكونة ومقدام شيعة الناصريين .. وقد شرع أن ينجس الهيكل .. » .

وهذه الفقرة واضحة ولكن لا يمنع ذلك من تعليق على بعض ما فيها :

● الفقرة صريحة فى أن « حنانيا » الذى سبق أن جاء إلى بولس ورد إليه بصره .. قد أخذ الجانب الآخر .. ووقف ضد بولس بل وذهب إلى أبعد من ذلك إذ رفع أمره للوالى .

● لازلنا نذكر موقف « برنابا » من بولس .. إذ إن برنابا هو الذى توسط لبولس ، وقدمه للتلاميذ الذين خافوا منه .. إلا أن « برنابا » لم يلبث أن تركه .. وتشاجر معه .. واتخذ موقفا معارضا .. حتى إن بولس اتهمه أنه اتخذ طريق المرائين .. ونفس الموقف الذى اتخذه برنابا من بولس .. يتخذه حنانيا .. بل ويتخذ حنانيا موقفا إيجابيا إذ رفع الأمر إلى الوالى .. أما موقف برنابا فقد تبلور فى كتابة ما يرد به على بولس ..

● لقد اكتشف « حنانيا » .. كما جاء على لســان « ترتلس » وهــو المتحدث أن بولس مفسد" .. ومهيج فتنة ..

ولعل الحقيقة اتضحت أمام القارىء .. ونحــن لا نغلق البــاب أمام الحقيقة .. ونرجو أن يكون باب النقاش مفتوحا .. من أجل الحق ..

بولس وفتنة ديمتريوس - [أ ع ١٩ : ٢١ ــ ٤١]

قام صائغ « صانع هياكل فضة » .. وقال فى الجمع « وأنتــم تنظرون وتسمعون أنه ليس من أفسس فقط بل من جميع آسيا تقريبا استمال وأزاغ

بولس هذا جمعا كثيراً قائلا : إن التى تصـنع بالأيادى ليست آلهة فليس نصيبنا هذا وحده فى خطر من أن يحصل فى إهانة .. » .

« فامتلأت المدينة كلها اضطرابا واندفعوا بنفس واحدة إلى المشـهد خاطفين معهم غايوس وأرسترخس المكدونيين رفيقى بولس فى السفر » .

« ولما كان بولس يريد أن يدخل بين الشعب لم يدعه التلاميذ . وأناس من وجوه آسيا كانوا أصدقاءه أرسلوا يطلبون اليه أن لا يسـلم نفسـه الى المشهد » ..

وهنا نلحظ نفس روح الانسحاب التى اتسم بها بولس ورأيناها أمام الحاكم الرومانى فإنه لم يتحرك لنجدة صاحبيه ولم يقل عنهما شيئاً .. وجاء الزعم أنه أراد أن يخرج .. ولكن لم يخرج نظرا لأن التلاميـذ منعـوه .. والرسائل جاءت من أصدقائه ليمنعوه .. ويطلبوا إليه ألا يسلم نفسه للمشهد

وهذا عجيب إذ إن المشهد كان حيا .. فما باله ينتظر الرسائل التى يتعلل بها كيلا يخرج ويواجه الجميع ؟

ويظل الصمت من بولس حتى ينتهى المشهد [الإصحاح العشرون من أعمال الرسل] .. « وبعدما انتهى الشغب دعا بولس التلاميذ ، وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونية .. ويسوق الإصحاح كلاما عاما فى السطور الأولى : « .. ولما كان قد اجتاز فى تلك النواحى ووعظهم بكلام كثير جاء إلى هلاس . فصرف ثلاثة أشهر . ثم إذ حصلت مكيدة من اليهود عليه ، وهو مزمع أن يصعد إلى سـورية صـار رأى أن يرجع على طـريق مكدونيـة .. » . [أ ع ٢٠ : ١ — ٧] .

وهذه العبارات توضح كيف أن بولس .. مطارد .. يقوم أصـحابه بتهريبه من مكان إلى مكان .. فهو لا يترك حيلة للهرب إلا وقد أخذ بها .

* * *

بولس .. واليهودية :

هل نسى بولس انتماءه لليهودية ؟ هل انتقل فى رحلة دمشق من الولاء ليهوديته إلى الإخلاص لعقيدته الجديدة ؟ لماذا تحول المسيح على يد بولس إلى لعنة ؟ هل كانت الحقيقة أنه أراد الخلاص ؟

إن الآراء كثيرة حول هذا الموقف ..ولكننا ننقل هنا نصين من سفر أعمال الرسل يوضحان بجلاء أن بولس لم يفقد انتماءه ليهوديته .. بل يتضح أنه ما اختط هذا الخط إلا ليخدم عنصريته وحتى لا يكون كلامنا تجنيا نستعرض العبارتين ..

« .. والآن أنا واقف أحاكم على رجاء الوعد الذى صار من الله لآبائنا . الذى أسباطنا الاثنا عشر يرجون نواله عابدين بالجهد ليلا ونهاراً » .. [أ ع ٢٦ : ٦] .

« ... ولكن لما قاوم اليهود اضطررت أن أرفع دعواى الى قيصر ، ليس كأن لى شيئا لأشتكى به على أمتى . فلهذا السبب طلبتكم لأراكم واكلمكم لأنى من أجل رجاء اسرائيل موثق بهذه السلسلة » .. [أ ع ٢٨ : ١٩ – ٢٠]

والعبارات صريحة فى أن ولاء (بولس) يرتبط أول ما يرتبط بالوعد لبنى إسرائيل .. ذلك الوعد للأسباط .. الاثنى عشر .

وعلى هذا فقد حاول أن يخلص عمله لتحقيق هذا الوعد .. ومن أجل هذا تلون على كل حال .. صار للفريسى كفريسى وللناموسى كأنه من أصحاب الناموس .. « ليربح من كل قوم حالا » ..

ولعلنا الآن قد جئنا على بعض الجوانب فى شخصية بولس .. تقودنا إلى الحقيقة .

واقرأ معى هذا الحديث الشريف وتأمل معناه :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال :

« يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن فى جهنم يقال له : بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار » ..

رواه أحمد والترمذى والنسائى

الفصل الثانى

حقيقة برنابا والحواريين

تجمع الأناجيل المعروفة على إغفال الحديث عن برنابا ؛ ولعل هذا الإغفال من الدوافع الخفية وراء تأليف برنابا لإنجيله .. خصوصا بعد أن افترق هو وبولس .. فقد رأى أن بولس قد استحوذ على عقول بعض الناس .

وربما كان بولس واسع الحيلة حتى لقد كتب رسائل باسمه وقد كان له أيضاً دور بارز فى كتابة الإنجيل « بحسب لوقا » ..

لقد رافقه لوقا فى معظم جولاته التبشيرية ... ووضع لوقا سفرين يكمل أحدهما الآخر .. دون فى الأول ما عرفه عن سيرة يسوع وتعاليمه .. كما دون فى الثانى بعض الجوانب من حياة الكنيسة .. مركزاً على اسهام معلمه بولس ، فى هذه المرحلة التاريخية الهامة .. « السفر المعروف بأعمال الرسل »

وقد تتلمذ على يد بولس ، فشهد المفكرون والمؤرخون المسيحيون الأولون منذ مطلع القرن الثالث أنه « دون الإنجيل الذى بشر به بولس » [1] .

وقد قيل عن الإنجيل بحسب لوقا أنه « إنجيل الرحمة » والذى لا ريب فيه أن فكرة رفق الله بالبشر كانت من الأفكار الكبرى التى سيطرت على إيمان بولس ، وإذا بها تهيمن على إنجيل لوقا أيضاً [2] .

---

(١) راجع : « حول الانجيل وانجيل برنابا » للأب : الياس زحلاوى ص ٣١ ، ٣٢

(٢) المرجع السابق .

وهكذا رأى برنابا ذلك الخطر يتسلل إلى عقول النـــاس ويتوجه إلى بؤرة الكتاب المقدس .. ولو أن الأمر اقتصر على بولس لهان الأمر إذ يمكن حينئذ تجاوز الخطر .. ولكن الأمر أكبر .. فلقد صارت هناك رسائل لبولس يعضدها إنجيل يكتبه لوقا .. ويقرأ القارىء .. لبولس .. ثم يقرأ ما كتبه لوقا .. فيعضد أحدهما الآخر .. ويزداد اليقين لدى عامة النـــاس الذين يتميزون بحسن النية فيظنون أن الحقيقة يشهد لها اثنان وفى الواقع لا يقدمها سوى شخص واحد .. وتابعه ..

ورأى برنابا ذلك فلم يسعه السكوت على ما رأى .. وكان لابد أن يدون الحقيقة فمن هم الحواريون الاثنا عشر ؟

لقد وردت أسماؤهم فى ثلاثة أناجيل وهم :

« سمعان ويقال له بطرس واندراوس أخوه . يعقوب بن زبدى ويوحنـــا أخوه . فيلبس وبرثولماوس . توما ومتى العشـــار يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس . سمعان القانوى ويهوذا الاسخريوطى » [مت ١ : ٣ — ٤] ونفس الأسماء وردت فى [مر ٣ : ١٣ — ١٩] أما ما ورد عن أسماء الحواريين فى [لو ٦ : ١٢ — ١٩] فهم « سمعان الذى سماه أيضا بطرس ، واندراوس أخاه ، يعقوب ويوحنا . فيلبس وبرثلماوس . متى وتوما . يعقوب بن حلفى وسمعان الذى يدعى الغيور . يهوذا اخا يعقوب ويهـوذا الاسخريوطى (٣) .

وبالمقارنة بين القائمتين . والأولى وردت فى متى ومرقص والثانية وردت فى لوقا ــ نرى أنهما اتفقتا على ذكر أحد عشر حواريا وهم :

- سمعان (بطرس)
- اندراوس أخوه
- يعقوب بن زبدى
- يوحنا أخوه
- فيليبس
- برثولماوس

---

(٣) اقتصر السيد / الياس زحلاوى على ذكر أسماء الاثنى عشر رسولا كما فى انجيل متى راجع [حول الانجيل ص ٢١ وما بعدها] .

- توما
- متى
- يعقوب بن حلفى
- سمعان القانوى (الغيور)
- يهوذا الاسخريوطى

وهؤلاء أحد عشر حواريا فمن هو الحوارى الثانى عشر ؟

● نقرأ فى قائمة متى ومرقص أنه « لباوس » الملقب « تداوس » وقد جاء فى مرقس لقبه فقط « تداوس » ، ولابد أن يكون هذا موضع تساؤل عن السر الذى دفع مرقس إلى التغاضى عن ذكر الاسم الحقيقى (لباوس) مع حرصه على ذكر الاسم الحقيقى قبل اللقب ؟ .. وحرصه فى ذلك أشد من حرص متى فقد ذكر مرقس : « سمعان اسم بطرس » .. وذكر لقبا للأخوين « يعقوب بن زيدى .. ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس أى ابنى الرعد » .. وهكذا نراه أطال فى ذكر اللقب لابنى زبدى .. بل وذكر ترجمته أيضاً .. ومع ذلك فهو عندما ذكر « تداوس » فقد خرج على القاعدة ولم يذكر الاسم الحقيقى له بل اكتفى باللقب .

فإذا كان هذا الحوارى لم يذكره لوقا فى قائمته .. فقد أصبح لهذا الاختلاف بين متى ومرقس فى اسم هذا الحوارى (حيث اكتفى الثانى بذكر لقبه فقط) مغزاه الذى لا نستطيع إغفاله . . إذ إن هذا لم يحدث إلا فى تداوس المختلف فيه .. فما معنى ذلك ؟ ربما يعنى ذلك أن تداوس هذا له اسم حقيقى غير اسم (لباوس) .

ونحن نعلم أنه قد تقابل هذه النقطة بالاستهانة وإنها لا تعنى شيئاً .. فلا فرق بين أن تنادى الإنسان باسمه أو أن تناديه بلقبه .. ولكن مثل هذا الاعتراض لا وزن له فى علم المقارنات .. وخصوصا لابراز حقائق مر عليها عشرات القرون وهى غامضة ولا يزال الغموض يكتنف جوانبها ..

● فإذا انتقلنا إلى القائمة الثانية بأسماء الحواريين وهى قائمة (لوقا)

نجد أن اسم الحوارى الثانى عشر هو « يهـوذا أخا يعقـوب » فمن هـو « يهوذا .. » ؟ ذلك مالا يجيب عليه الإنجيـل ، ولا تجيب عليـه كتـابات الدارسين الذين أمكننا الاطلاع على دراساتهم ، والذى عهدناه أن أسـماء الحواريين تؤخذ جملة على أنها حقائق ومسلمات ضمنتها الكنيسة .. واستراح العامة إلى ذلك ..

ولكننا نتساءل عن يهوذا .. ونتساءل عن لباوس أو تداوس .. فلابد أن يكون أحدهما من غير الحواريين .. فمن هو الحوارى دون الآخر ؟ هـل هو « يهوذا أخو يعقوب » ؟ أم إنه لباوس ؟ وهل يتعين أن يكون واحـداً منهما ؟ .

والجواب : أن الاختلاف يخرج كلا الاسمين من القائمتين .. فلا يهوذا أخو يعقـوب من الحـواريين .. ولا لبّـاوس او تداوس هو الآخر مـن الحواريين .. ذلك أنه لابد أن يكون حدث اختلاف حول شخص معين أريد إخراجه من الحواريين لسبب ما .. ورأى أصحاب هذه الفكرة أن يدرجوا اسما بدل اسم هذا الشخص غير المرغوب فيه .. وراقت هذه الفكرة لهم .. ولكنهم دونوا أسماء ـــ كما رأيت ـــ فيها اختلاف عميق ..

ولكن من عساه أن يكون هذا الشخص ؟

إنه « برنابا » ويؤكد لنا ذلك ما يأتى من حقائق ..

(ا) مشاجرة بولس مع برنابا وافتراقهما ، فقد ورد فى سفر أعمال الرسل [١٥ : ٣٦ ـــ ٤٠] صورة هذا الخلاف وسببه :

« فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنـــا الذى يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر » ..

ويظهر أن سبب الخلاف شخصى إذ غضب برنابا لأن بولس رفض اقتراحه .. إلا أن هذا السبب فى منطق الدعوات أقرب إلى الخرافة ففى الدعوة نرى الداعية يضحى بنفسه وماله وولده ، ولابد أن يكون السبب أعمق من هذا

بكثير . ويتضح هذا السبب من شكوى بولس من برنابا .. بل وهجومه عليه واتهامه بالرياء كالآخرين .. ويبين سفر الأعمال (١٤/ ١٥) سبب المشاجرة لأنه يتحدث من بدايته عن الختان ، ويحاول كاتبه أن يظهر أن تتابع الأحداث طبيعى فى الحوار حول الختان إلا أننا نكتشف فى ثناياه :

١ ـ « ثم أتى اليهود من أنطاكية وأيقونية ، وأقنعوا الجموع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات ، ولكن إذ أحاط به التلاميذ قام ودخل المدينة ، وفى الغد خرج مع برنابا إلى دربة » (أ ع ١٤ : ١٩ ـ ٢١)

وهذا النص يوضح بجلاء أن بولس ـ وحده ـ تعرض للرجم وذلك لما كان يقول من تهاريف وتجديف . كما يوضح أن بولس كان يستخدم برنابا ستاراً .. إذ دخل المدينة وخرج معه دون أن يتعرض لأذى .. وكذا كان بولس يستخدم التلاميذ .

٢ ـ حاول بولس (الإصحاح ١٥) أن يستخرج صكا من الرسل بعدم الاختتان فعاد لأورشليم ، وبعد العودة والحديث عن عدم الاختتان وانضمام بعض الرجال (يهوذا وسيلا) لمقالة بولس .. وهنا نجد برنابا يفارق بولس .. ويفتعل الاصحاح سببا واهيا للمشاجرة محاولا التمويه والتغطية على السبب الحقيقى وهو الخلاف العقدى .. الذى برز عقب مقالة الختان ولعل هناك ما هو أكثر ..

(ب) اتهام بولس لبرنابا اتهاما صريحا بالرياء « حتى أن برنابا أيضاً انقاذ إلى رياء الآخرين » غلا ٢ : ١٣ .

(جـ) شكوى بولس من تفرق الناس عنه « .. فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى » .

ولم يبق معه أحد سوى لوقا « .. لوقا وحده معى » ..

(د) طلب بولس من تيموثاوس الحضور سريعا إليه « بادر أن تجىء

إلى سريعا .. لوقا وحده معى .. خذ مرقس وأحضره معـك لأنه نافـع لى للخدمة » [٤] .

(هـ) اعترف سفر أعمال الرسـل بأن برنابا من الحواريين « ويوسف الذى دعى من الرسـل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ وهـو لاوى قبرسى الجنس . إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسـل » [أ ع ٤ : ٣٦ ـــ ٣٧] فهو قد دعى من الرسل .. فمن الذى دعاه من الرسل سوى المسيح عيسى بن مريم ؟

قد يفهم بعض الناس أن الرسل هم الذين لقبوا (برنابا) بهـذا اللقب ولكن فى هذا الفهم كثير من القصور لأن ترجمة اللقب « ابن الوعظ » يؤكد أنه وليد الرسالة .. على يد إمامها المسيح عيسى عليه السلام .. فتعبير (من الرسل) المقصود به أنه اختص به من بينهم .. ولم يفز به سواه ..

وهذا النص أيضاً يؤكد كون برنابا من الحواريين إذ إنه لو لم يكن منهم لما اختصته رسالة أعمال الرسل بالذكر ـــ وأنه باع حقله .. ووضـعه تحت تصرف الرسل (تحت أرجلهم) .. إذ إن الرسالة أجملت هذه الحقيقة قبل ذلك مباشرة وبينت أن الكثيرين باعوا حقولهم .. فما بال الرسالة خصت بالذكر برنابا .. ؟ لابد أن يكون ذلك لخصوصية فى (يوسف) الذى هو ابن الوعظ .. برنابا ..

(و) ذكر بعض المؤلفين فى هذا الموضوع [٥] أن مما يدل أيضا على أن برنابا ظل متمسكا إلى نهاية حياته بالحقائق المسيحية أن له رسالة يرجـع تاريخها إلى حوالى سنة ١٠٠ م جاء فيها « أننا نحفظ اليوم الثامن (أو بالحرى يوم الأحد إ إن السبت كان يدعى اليوم السابع) بفرح وابتهـاج لأنه اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات » .

---

(٤) رسالة بولس الثانية الى تيموثاوس ٤ : ٩ ـ ١٦

(٥) راجع : انجيل برنابا .. فى ضوء التاريخ والعقل والدين تأليف : عوض سمعان ط ٥ من دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ـ القاهرة ـ ص ٧٨ ، ٧٩

كما أن بعض رجال الدين فى شمال إيطاليا عملوا قداساً فى القرن الخامس أطلقوا عليه « قداس برنابا » .. ا . هـ .

وهذا الكلام ــ إن صح ــ يعد دليلا على أن انجيل برنابا حقيقة لا تنكر وليس وهما كما حاول المؤلف أن يزعم .. فمما لا شك فيه أن برنابا ألف كتابا ــ كما ألف غيره كتابا ــ فإذا كان هذا الكتاب حقيقة ؟ وإذا كان استمراراً للإيمان بالحقائق المسيحية فلماذا لم تنتخبه الكنيسة ضمن ما انتخبته من كتب ورسائل .. علما بأن برنابا ــ على هذا الزعم ــ مؤيد للحقائق المسيحية ؟ .. لقد قدم برنابا بولس للرسل ، وسانده فى دعوته فلماذا لم تعتبر رسالته مقدسة .. فيكون فى ذلك قطعا للشكوك ؟

ويذكر أن برنابا ألف رسالة باسم « أعمال الرسل » على غرار سفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا .. ولكن لم يبق لها أثر إلا الاسم تذكره لنا كتب التاريخ ويرجح بعض الباحثين أنه يكون لها اتجاه خاص يناقض رسالة أعمال الرسل المعروفة (٦) .

إن هذا لدليل قاطع على أن إنجيل برنابا حقيقة تاريخية وهو مخالف تمام المخالفة لما هو معروف من الأناجيل والرسائل وهذا متفق تماما مع :

١ ــ اتهام بولس لبرنابا أنه انقاد إلى « رياء الآخرين » .

٢ ــ المشاجرة بين بولس وبرنابا عقب مسألة الختان (وهى ما نراها مفصلة فى إنجيل برنابا تفصيلا يقطع بالحقيقة) .

٣ ــ استبعاد الكنيسة لما كتبه برنابا .. يدل على عدم توافقه مع اتجاهها فى مجمع (نيقية سنة ٣٢٥) وما تلاه من مجامع معترف بها عند المسيحيين .

يقول بعض المؤلفين : « ورسالة برنابا عثر عليها سنة ١٨٥٩ العالم الألمانى تيشندروف فى المخطوط السينائى الشهير مما يشير إلى أنها كانت فى الكنيسة الأولى تعتبر ، فترة من الزمن ، جزءاً من الكتاب المقدس .. وهو يدعو فيها

---

(٦) راجع الأسفار المقدسة قبل الاسلام ، د. على عبد الواحد وافى ــ عند حديثه عن انجيل برنابا .

إلى التحرر من وصاية اليهودية على المسيحية ، ويشدد على ضرورة اتبــاع طريق النور والمحبة والتضحية التى خطها المسيح لأتباعه .. ولكنه إلى ذلك لا يبدو أنه تحرر كليا من بعض التبعية لليهودية وبدعة الغنوصية معا » [٧] .

وهكذا يتضح لنا بصورة أقرب إلى اليقين أن برنابا هو من الحواريين الذين شاهدوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . فهو من الطبقة الأولى فى المسيحية .

ولقد وضح بعض الباحثين أنه إن لم يكن من الحواريين فهو لا يقل عن كتبة الأناجيل إن لم يزد عليهم .. فهو الذى شــهد لبولس بالإيمــان عند التلاميذ .. وقدمه لهم .. فهو على أقل تقــدير أرقى مــن بولس فى مراتب السبق والإيمان .. وإذا كان لوقا قد دون انجيله وهو لم ير المسيح بل تتلمذ على يد بولس وكتب إنجيله وبولس فى الأسر .. وقيل بل كتبه بعد موت بولس وبطرس [٨] .. أقول إذا كان لوقا قد قبل إنجيله .. أفلا يقبل إنجيل برنابا وهو أسبق منه وأعرف بقضايا الإيمان ؟

* * *

(٧) حول الانجيل تاليف الياس زحلاوى ص ٥١ هذاوقد حاول بعض القساوسة أن يلصق بعض الرسالات المجهولة لبرنابا .. وهذه المحاولات تفضح نفسها فلا داعى للتعليق عليها .

(٨) راجع محاضرات فى النصرانية للامام محمد أبو زهرة ص ٥٧

الباب الثانى

دراسات مسيحية فى انجيل برنابا

تناولت الأقلام المسيحية إنجيل برنابا بالنقد والتحليل تحاول أن تبرهن على تزوير وتزييف هذا الإنجيل ، ولقد بذل بعض هؤلاء الباحثين جهداً جباراً للوصول إلى هذه الغاية ، ولقد رأيت أن أعرض لبعض هذه الأبحاث فى مناقشة موضوعية نبتغى من ورائها الوصول إلى الحقيقة (1) ..

وبادىء ذى بدء أود أن أعلن أننا لا يهمنا — فى قليل أو كثير — أن نثبت صحة الإنجيل المنسوب إلى برنابا .. فنحن — كمسلمين — لدينا القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .. وقد طلب منا القرآن أن نؤمن بالكتب السابقة التى حدثنا عنها .. بل وبكل كتاب إلهى حتى لو لم يرد ذكره فى القرآن .. « .. منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » ، ولم يطالبنا القرآن بأن نؤمن بالإنجيل أو التوراة أو صحف إبراهيم على هيئة مخصوصة .. حتى يقال إن المقصود بالتوراة هو ما فى أيدى اليهود أو المقصود بالإنجيل هو ما فى أيدى النصارى .. اليوم .. فنحن مؤمنون بالتوراة والإنجيل كما أنزلها الله تعالى ، فلا يهمنا فى هذا المجال — مجال العقيدة — أن يكون إنجيل برنابا صحيحا أو فاسداً ولكننا نبحث فى الأمر تحريا للحقيقة حتى يكتمل العذر أمام الله تعالى أننا حاولنا وبينا الأمر .. لكل ذى لب مفكر ..

---

(1) الكتب التى سنناقش بعض محتوياتها هنا :

1 — انجيل برنابا شهادة زور على القرآن الكريم تأليف يوسف الحداد سنة ١٩٦٤ .

٢ — حول الانجيل وانجيل برنابا تأليف الياس زحلاوى عن دار المجد — المطبعة البولسية .

٣ — انجيل مزيف .. انجيل برنابا . فى ضوء التاريخ والعقل والدين بقلم عوض سمعان ط ٥ عن دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية — القاهرة .

كما أنه ليس فى تدبيرنا أن مثل هذه الأبحاث تعتبر هدماً لدين أو عقيدة .. فكثيراً ما نقرأ فى مؤلفات بعض المؤلفين .. أنه كم من محاولات لم تهدم ديننا .. وكم وكم .. فليس فى ذهننا ــ بل وليس فى طاقة بشر ــ أن يهدم عقيدة من العقائد مهما كان فسادها ، ولو كان فى مقدور أحد أن يهدم عقيدة لكان الأولى أن يقوم الأنبياء بذلك .. وما رأينا نبيا قضى القضاء المبرم على عقيدة وثنية .. ولكن الأمر لا يتعدى مجرد التبليغ والتوضيح ..

« لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » ..

وفى استعراضنا لبعض الكتابات المسيحية التى تناولت إنجيل برنابا .. سنحاول أن نقف على الأصول الفكرية العامة لهذه الكتابات إذ المجال ليس التفنيد أو الرد التفصيلى لكتاب معين بل المراد ــ إن شاء الله ــ وضع خطوط عامة يستضىء بها القارىء .

١ ــ الفجوة التاريخية بين الرسالة والتدوين :

حرص بعض الكتاب .. قبل تناول إنجيل برنابا ــ أن يدرس الأناجيل الأربعة دراسة مستفيضة من حيث صحتها وصدق نسبتها لكاتبيها ..

وأول ما يلفت انتباه القارىء أن بعض الباحثين يحاول أن يتجاوز الفجوة التاريخية أو يهون من أمرها .. ومن أمثلة التهوين من أمر الفارق الزمنى : قول البعض « وقد يبدو للبعض أن الفارق الزمنى القائم بين البشرى الإنجيلية المقولة ــ أى المسيح والرسل ــ والنسخ الأولى للبشرى المكتوبة ــ أى المخطوطات ــ ينطوى على شك فى صحة ما ينسب إلى المسيح .. وبالتالى فى صحة البشرى بالذات .. إلا أن الحقيقة العلمية على خلاف ذلك .. فإن مثل هذا الفارق الزمنى يكاد لا يقوم له وزن فى عرف علم التاريخ والنقد التاريخى » (٢) .

والواقع خلاف ذلك .. بل الحقيقة العلمية تقطع أن هذا الفارق مهما

---

(٢) حول الانجيل . الياس زحلاوى ص ١٨

كان ضئيلا لابد وأن يكون له أثره .. فى دقة التدوين وصلاحية النص .. وإذا كان أول إنجيل قد كتب بعد رفع المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثين سنة فهل هذا فارق لا يعتد به فى علم النقد التاريخى ؟ وما بالك إذا امتد الزمن فأضبح عشرات السنين قد تصل إلى قرن من الزمان أو تزيد ؟ ..

والكاتب يضرب مثالا على ذلك بعمالقة الأدب .. وهو مثال يتجاهل الحقيقة ويلبس الأمر على العامة أكثر مما يؤيد الدعوى التى يريد إثباتها .. فهو يقول « إذا ما عمدنا إلى مقارنة نزيهة بين ما نحن بصدده ، وبين الفارق الزمنى الممتد من تاريخ وجود عمالقة الأدب القديم .. إلى تاريخ ظهور النسخ الأولى لمخطوطاتهم » [٣] . وهذه العبارة ـ كما قلنا ـ تعمى الحقيقة على القارىء العادى إذْ القياس مع الفارق .. لأن عمالقة الأدب كتبوا مخطوطاتهم فى حياتهم ودونت أعمالهم باشرافهم .. أما الأناجيل فقد دونت بعد رفع المسيح عليه السلام كما قلنا .. ثم إن عمالقة الأدب لا يخشى على آثارهم من تحريف المحرفين إذ إنهم لم يكونوا أصحاب دعوة الهية ، وعقيدة يجمعون الناس حولها ونصوص كتاباتهم ليس لها قداسة . ولم يكن لهم أعداء يحرصون على هدم ما بنوه كما كان للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

فإذا ما انتقلنا إلى كاتب آخر يتناول نفس القضية [٤] نراه يلجأ إلى العموميات والمسلّمات التى تلقى فى روع القارىء ونفسه اليقين والتأكيد على كل ما يقال .. فهو يقول ان الإنجيل أخذ فى الانتشار شفويا بعد صعود المسيح بعشرة أيام فحسب [ولا ندرى سر العشرة الأيام ... وهل كان مجهولا قبل ذلك ؟ وهل انتشر كما ذكر على لسان المسيح عليه السلام .. ؟ كل هذا يتجاوزه الكاتب] ليعلن فى عمومية صارخة تناقض العقل وحقائق التاريخ فيقول (دون أن ينهض واحد منهم ـ مهما كان شأنه ـ لمناقضة شىء مما جاء فيه) .. وهذا كلام لا دليل عليه بل الدليل قائم على عكسه وهل ظن الكاتب أن المساجلات ـ بل والمطاردات ـ التى حدثت بين أوائل القوم قد خرجت من فراغ ؟ وهل يعقل مثل هذا فى الجوانب الثقافية ؟ هل كانت

---

(٣) نفس المصدر .

(٤) انجيل برنابا .. بقلم عوض سمعان .. ص ٩ وما بعدها .

اتجاهات التوحيد ورفض الصلب والتثليث فى العصـــور الأولى نابعـــة من لا شيء ؟ أم أنها كانت اتجاهات أصيلة لها جذورها الأولى ؟ (٥) .

ويتدرج الكاتب فى عموميته للقول بأن الإنجيل انتشر عقب ذلك فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات فى كثير من بلاد الشرق والغرب .. ؟

ويستمر الكاتب فى هذه العموميات متدرجا بالقارىء من زمان إلى زمان وفى كل زمان يلقى بالعموميات التى توهم بأن شيئا ما لم يحدث للإنجيل . ولا نريد أن نقف أمام كل نقطة قالها الكاتب فذلك ليس هدفنـــا .. ولكننـــا نشير إلى نقطة هامة أغفلها الكاتب .. ألا وهى .. كيفية اختيار الأناجيـــل الأربعة والرسائل ؟

فقد كتبت الأناجيل .. بالعشرات فى القرون الأولى .. فهل كانت هـــذه الأناجيل كلها مرفوضة أم مقبولة ؟ إن أحداً لا يستطيع أن يدعى أن هـــذه الأناجيل مرفوضة لأن كاتبيها فى مستوى واحد من القداسة .. ولم يحدث أن رفض إنجيل أوقبل إلا بعد أن اجتمع المجمع المسكونى الأول فى القرن الرابع الميلادى (٣٢٥ م) ولم يجتمع هذا المجمع إلا لاختيار بعض الكتابات .. واختيرت الأناجيل الأربع فى هذا المجمع .. وظل باب الاختيـــار وضـــم رسالات جديدة مفتوحا عقب ذلك مدة لا تقـــل عن قرنين ونصف قرن من الزمان .. وربما أكثر .

---

(٥) راجع محاضرات فى النصرانية ص ١٤٥ وفيه ينقل من كتاب تاريخ الامة القبطيـــة « الذنب [ذنب اعلان التوحيد] ليس على اريوس بل على لفئات اخرى سبقته فى ايجاد هذه البدع ... » وفى ذلك رد على عموميات المؤلف التى حاول بها خداع القـــارىء البســـيط .. ويذكر التاريخ مجموعة من الفرق ـ قبل مجمع نيقية ـ ونستطيع أن نقسمها الى اهل توحيد ومنهم : فرقة ابيون او الابيونيين وكانت تقر شرائع موسى وتعتبر المسيح مجرد بشر رسول ، وفرقة بولس الشمشاطى .. وظل أتباعه حتى القرن السابع الميلادى وفرقة الاريوســيين .. **وأما غير الموحدين** : فمنهم المرقيونيون أتباع مرقيون Marcion وهو من رجال القرن الثانى الميلادى ، وفرقة (البربرانية) وكانت تذهب الى تاليه المسيح وأمه .. ثم فرقة اليان ثم فرقة التثليث التى أصبحت العقيدة الرسمية بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ .

وقد أوردنا هذا الكلام لنوضح مدى تغافل الكاتب وتعمده تجاوز الحقيقة ليلبس الحـــق بالباطل ... نسأل الله العافية .

والســؤال الآن :

ما الكتب التى كان يسير عليها المسيحيون قبل ذلك ؟ والجواب واضح وهو أن الكنيسة لم يكن لها كتاب فى المدة من رفع المسيح عليه السلام وحتى مجمع نيقية الأول ، وحتى لا نكون متجاوزين فى بيان الحقيقة .. فان وقائع مجمع نيقية شاهد ثبت على ذلك .. إذ اجتمع فيه ٢٠٤٨ كاهنا وأســقفا .. واختلفوا اختلافا بيناً ، ولم يصلوا إلى شيء ، وكان لابد أن يجسم الامبراطور (الذى يرعى هذا الاجتماع الهام ، وهو لم يتنصر وإنما سمح بتعميده فقط وهو على فراش الموت) الأمر ، ويقضى على الفتنة فاختار ٣١٨ أسـبقفا .. من المجتمعين ، وأقروا ألوهية المسيح .. ومما يدل على أن هذا الرأى كان غير مستقر ولم يكن هو الراجح فى مذاهب الحاضرين .. أن مجمعاً آخــر عقد فى صور ، وأثار فيه (أوسابيوس) مقــالة (أريوس) فى الوحــدانية وإنكار ألوهية المسيح ، .. وظهر فى هذا المجمع حماس الحاضرين للوحدانية وتأييدهم لرأى أريوس .. ورفضت قرارات مجمع نيقية بالإجماع .. وهكذا ظل التوحيد الكامل والإيمان بأن المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورســوله كغيره من الرسل .. بل إن التوحيد سيطر ــ كما ذكر ابن البطريق ــ على كثير من البلاد « .. فى ذلك العصر غلبت مقــالة أريوس على القســطنطينية وأنطاكية وبابل والإســكندرية .. وأســيوط .. وقــد كان أهــل مصر ــ والإسكندرية ــ أكثرهم أريوسيون فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية ــ كما يقول ابن البطريق ــ وأخذوها ووثبوا على أثناســيوس بطــريرك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى » ..

وهكذا نرى الحقائق التاريخية الواضحة تكشف زيف الدعاوى وتزويقها على العامة [٦] .

بقى أن نشير إلى نقطة ذكرها الكاتب [*] باقتضــاب إذ قال : « ان النسخ الأصلية للانجيل لم يتعمد أحد إحراقها أو إتلافها مثل بعض الكتب القديمة

---

(٦) راجع تفصيلا : دراسة الكتب المقدسة . موريس بوكاى ص ٧٥ وما بعدها ، ص ٩٠ وما بعدها .

(*) المصدر السابق ص ١٥ .

التى أراد فريق من الناس إخفاءها أو اخفاء شيء مما جاء فيها لغرض فى نفوسهم .. ولا ندرى من يقصد ؟ .. ولن نقف أمام ذلك ولكنا نشير إلى تعمد تجاهل الحقائق .. فقد أثبت التاريخ أن مجمع نيقية (الذى أقر ألوهية المسيح واختار الكتب الأربعة المعتمدة) وكان المجمع قد أمر بإحراق الكتب المخالفة .. فأحرقت الكتب المخالفة ولم ينج منها إلا القليل .. بل وما وصل منها وصل الاسم فقط دون أن ندرى عن المحترق شيئاً .. فكيف التجنى على الحقيقة وزعم أن النسخ الأصلية لم تحرق ؟

وقد نأخذ رأى المؤلف (بعدم الإحراق) دليلا على أنه لم يكن هناك شيء مقدس يخشى عليه .. إذ لو كان هناك شيء مقدس حقا لأحرق ما سواه حفاظا على قدسية المقدس وخوفا أن يختلط الزائف منها بالصحيح فالقرون الأولى — حتى مجمع نيقية على الأقل — لم تشهد حركة مواجهة ضد الكتابات الزائفة مما يدل على أن ما يكتبه كل الناس لا يمثل الوحى المقدس فى شيء بل يمثل وجهة نظر أصحابها .. ولذا لم يهتم أحد بالتخلص من كتاب معين .. أما بعد مجمع نيقية فقد جاء الأمر بإحراق الكتب المخالفة وذلك عندما أضفيت القدسية على بعض الكتب دون بعضها الآخر .. ولو كانت هناك نسخة — قبل مجمع نيقية — شهد الجميع بصدقها وجرى تحقيقها تحقيقا علميا لبطل ما عداها من النسخ ولاستحقت الإحراق (٧) .

٢ — بين القرآن والكتب السابقة :

عند تناول بعض الباحثين لتفنيد ما جاء فيما يدعى بإنجيل برنابا .. حرص على أن يستعين بآيات القرآن :

● فليس فى القرآن آية تشير إلى إنجيل برنابا ، مما يدل على عدم وجوده ولو وجد لدعا القرآن إلى التمسك به .

---

(٧) بعد ذلك أورد المؤلف بعض شهادات العلماء بعدم التحريف ، وأكثر من الاستشهاد بهذه الأقوال ، وهذا ليس بشيء اذ ان هناك المئات بل الآلاف من علماء المسيحية يؤكدون عكس ما ذهب اليه المؤلف ومن استشهد برأيهم .

● وإن الأناجيل غير محرفة فقد يشير القرآن إلى بعض التحريف الذى قام به اليهود .. ولكن لا ينسب إلى الإنجيل تحريفا على الإطلاق [٨] .

● بل ويستمر الكاتب فى قوله فيستشهد بأن آيات القرآن تقطع بأن الإنجيل هو كتاب الله الذى لم يلحقه التحريف .. (البقرة : ١٠١ . آل عمران : ٢٣ ، ٢٤ . المائدة : ٤٧) .

والحقيقة أن القرآن الكريم فى حديثه عن الكتب السابقة كان له منطلقه الخاص .. ذلك أن القرآن ليس بحثا أثريا يثبت كتبا وينفى غيرها .. وإنما هو كتاب عقيدة وإيمان ، ومن هذا المنطلق بدأ يحدث أهل الكتاب وغيرهم فماذا كان منهجه معهم ؟

١ ــ لقد أثار فيهم الرغبة فى التفكير .

« .. قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » ..

٢ ــ وبدأ يذكرهم بما أوحى الله إليهم على لسان أنبيائهم وأن الوحى إليهم يعد أعظم مبرر للاستماع لرسالة الإسلام .

٣ ــ ويذكرهم بتأويلاتهم الفاسدة التى تخرج عن نطاق الشرع ومقتضيات العقل .

٤ ــ محاولة ربطهم بالله فى كل عمل وقول .. وزمان ومكان .

٥ ــ كان القرآن أبعد ما يكون عن التجريح وإثارة المشاعر فقضية الإيمان تعنى أن المؤمن بالكتب السابقة لابد أن يؤمن بالقرآن الكريم .. ولا مجال للتفرقة بين وحى ووحى والرسالة الأخيرة قد أكملت شوط الرسالات والمؤمن الحق لا اختيار له مع الحق ..

---

(٨) راجع انجيل برنابا شهادة زور تاليف : يوسف حداد ص ٢٤

قال تعالى :

« ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل اليك ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » ..

أما المجادل الذى يتخلف عن متابعة الحقيقة فهذا أمره إليه :

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ..

ولهذا فإن التلميحات التى وردت فى القرآن تكفى للتوجيه دون الخوض فى معارك جانبية لا تخدم قضية الإيمان ، إذ لو فتح القرآن باب الاتهام الصريح بتحريف التوراة والإنجيل لانفتح باب الجدل العقيم .. ولثارت العصبيات ولانتصرت دولة المعاندين .

إلا أن القرآن أعلن الحرب بلا هوادة على مخالفات العقيدة وهنا الحكم الصريح الذى أعلنه القرآن الكريم على كل كتاب يتخطى حدود العقيدة السليمة .

إن المخالفات المحدودة يتناولها القرآن الكريم تناولا محدوداً فنعى على اليهود تحريفهم الكلم عن مواضعه .. وإخفاءهم لبعض حقائق الرسالة عن الناس ..

أما الإنجيل والنصارى فكان القرآن قويا قاطعا فى قضية الألوهية التى تعتبر أساس الإيمان كله .. ولذا نرى القرآن لا ينعى عليهم مجرد التحريف أو التبديل .. وإنما تناولهم بالتهديد والوعيد .. فقال تعالى :

« لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة » ..

وقال سبحانه :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح عيسى بن مريم » ..

فأين الإنجيل مع هذا القول .. ؟ إن القرآن بذلك لم يعترف بأى كتاب يقول بألوهية المسيح أو بالتثليث .. إذن – فهناك من وجهة نظر القرآن الكريم إنجيل حقا ولكنه ليس بالقطع ذلك الإنجيل الذى يصرح بالكفر ..

وحينما طلب القرآن الكريم من أهل الكتاب أن يقيموا التوراة والإنجيل .. وذلك فى قوله تعالى :

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » .. [٥ / ٦٦] .

فماذا يعنى تمنى الإقامة إلا أن فى الأمر اعوجاجا ؟ ..

وقوله تعالى :

« قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » [المائدة : ٦٨] وهذه الآية يتخذها البعض دليلا على اعتراف القرآن بأن التوراة والإنجيل باقيان ، ويغيب عن أذهان هؤلاء أن الآية فى حقيقتها توضح أنهم ليسوا على شىء إذ إنها ربطت الأمر بإقامتهم للتوراة والإنجيل . ومعنى ذلك انهم لم يقيموها قبل ذلك . إن الإقامة عكس الاعوجاج والميل .. فالتوراة والإنجيل على عهد الرسالة الإسلامية لم يكونا على أصلهما فى نظر القرآن . عطفت الآية :

« وما أنزل إليكم من ربكم » ..

على التوراة والإنجيل وهذا العطف له مغزاه فى بيان معنى الاعوجاج الذى أصاب التوراة والإنجيل .. فقد أمتد التحريف والتبديل إلى ما أنزل إليهم من ربهم وكأنهم لم يقتصروا فى التحريف والتشويه على بعض أقوال الأنبياء وإنما تجرءوا على ما أنزله الله تعالى ..

● نزول هذه الآية على تلك الصورة دليل قاطع على أن اليهود والنصارى ليسوا على شىء إذ جاء القرآن فوجدهم لا يقيمون التوراة والإنجيل .

● إن عجز الأوائل عن أن يقيموا التوراة والإنجيل لدليل على أن المتأخرين أشد عجزاً لأنهم هكذا تسلموها ممن قبلهم .

وكذلك قوله تعالى :

« وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » ..

أى ليعودوا إلى الإنجيل المنزل من الله تعالى إن كانوا حقا آهل الإنجيل .. وهكذا نرى أن القرآن رفض اعتبار الإنجيل بصورته الحالية ــ كتابا سماويا ..

.. وأما محاولات البعض استنطاق آيات القرآن مبتورة عن إطارها أو سياقها .. أو الاستشهاد ببعض الكتاب دون بعض .. فهذا لا يفيد إلا استجلاب غضب الله تعالى بما يدخلون الأمر على العامة .. وبما يلبسون الحق بالباطل ..

هذه الحقيقة يجب ألا تغيب عن بال الباحثين عندما يبحثون فى القرآن الكريم .

٣ ــ براهين مسيحية على تزييف انجيل برنابا :

قلنا ــ قبل ذلك ــ إننا لا يهمنا فى كثير أو قليل أن تثبت أن إنجيل برنابا صادق النسبة إليه ، ولا نردد مع بعض المؤلفين الذين يحاولون إقناع القراء ببطلان ما جاء فى إنجيل برنابا .. إذ يقولون « .. فنحن نرى أن نبذ إنجيل برنابا يخدم الإسلام بالذات فهو ينقض القرآن ويورد ما لا صحة لسنده من القصة فى المعتقد الإسلامى » [٩] .

فهذا الإنجيل أو ذاك لا يهمنا ــ كمسلمين ــ فى قليل أو كثير .. وإنما يهمنا فقط أن تظهر الحقيقة للناس .. واضحة جلية ..

وفى سبيل إظهار هذه الحقيقة للناس نناقش بعض ما كتب حول هذا الموضوع ، ولعلنا نستطيع أن نأخذ بيد القارىء إليها والله المستعان ..

(أ) أمر البابا جلاسيوس :

رأى بعض الباحثين أن يستأنس للحقيقة بسند من التاريخ ؛ فقد ورد أن البابا جلاسيوس أصدر أمراً بتحريم بعض الكتب .. ومنها إنجيل برنابا .

---

(٩) حول الانجيل ــ الياس زحلاوى ص ١٠١

وأمام هذا الأمر البابوى نجد أن بعض المؤلفين المسيحيين قد اعترف بوجوده .

« وقد أصدر البابا جيلاسيوس سنة ٤٩٥ مرسوما رسوليا كرس فيه جميع قرارات المجامع السابقة ، ففصل بذلك كل نقاش حول الكتب المنحولة .. والكتب القانونية فى الكنيسة جمعاء » (١٠) ..

فى حين نجد باحثا آخر لا يبالى بذلك ويزعم أن قرار البابا لا وجود له فيقول :

« ومن البراعة أن ينتحل واضع (انجيل برنابا) اسم صاحبه للتستر وراء الاسم الوارد مدسوساً فى قرارات جيلاسيوس المنحولة لقدمه النسبى » (١١)

فهذا الإنجيل منتحل ، واسم برنابا مدسوس .. وقرارات جيلاسيوس منحولة .. وهكذا نجد أنفسنا أمام عموميات قاتلة للحقيقة .. وكأن التعصب الأعمى قاد بعض المفكرين ليقولوا ما يقولون ..

(ب) مخالفة انجيل برنابا للحقائق التاريخية والجغرافية :

ومن الأمور التى أطال فيها بعض الباحثين لإبطال ما يسمى إنجيل برنابا .. أن كاتب هذا الإنجيل قد خالف الحقائق التاريخية والجغرافية (١٢) ولا نريد أن نبرر الأمر أو نثبت عكسه فقد قلنا إن ذلك لا يهمنا كمسلمين ، إلا أننا نحب أن نلفت نظر القارىء إلى أنه إذا كانت مخالفة إنجيل برنابا لبعض الحقائق التاريخية والجغرافية يتخذه البعض دليلا على تزوير هذا الإنجيل ..

فما بالك بمخالفة الأناجيل الأربعة لتاريخية الرسالات السماوية ؟ فمنذ العهود الأولى للبشرية لم تسمع الأرض .. ولا البشر ولا حكى لنا التاريخ عن رسالة أيدت التثليث ولا دعت إليه كما حدث فى كتابات الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها .. وهذه المخالفة ــ وحدها ــ دليل كاف على

---

(١٠) المصدر السابق ص ٥٥

(١١) انجيل برنابا شهادة زور ــ الاب يوسف الحداد ص ٢٧

(١٢) انجيل برنابا شهادة زور ــ الأب يوسف الحداد ص ٣١

تزوير هذه الأناجيل .. وإلا فكيف تتخذ من بعض المخالفات التاريخية دليلا على تزوير كتاب ؟ علما بأن المعلومات التاريخية ظنية فقد يكون ما ذكره إنجيل برنابا هو الصحيح ..

بل لقد رأينا فى الأناجيل الأربعة مفارقات تاريخية صريحة منها على سبيل المثال ما حدث فى تدوين نسب المسيح فى الأناجيل وما فيه من خلاف .. وليس مرادنا استقصاء هذه النقطة .. وإنما أردنا أن نوضح أن وجود الاضطراب التاريخى وربما الجغرافى لا يسلم منه الأناجيل وما ألحق بها من رسائل ..

ولعلنا نلتمس عذراً عاما لكاتب إنجيل برنابا .. فإنه كتبه لإظهار حقيقة واحدة ألا وهى القول بأن المسيح عيسى بن مريم نبى رسول .. وليس إلها .. وليس خاتم الرسالة .. بل هناك الرسالة الخاتمة التى بشر بها المسيح كما بشرت بها التوراة .. وهذه حقائق ملكت على كاتب الإنجيل عقله وفكره .. وقد صدم فى بولس — الذى تطوع كاتب الإنجيل — وقدمه للتلاميذ — فإذا به يتحول عن الحق .. ويدعو إلى الباطل ..

(ج) ديانة كاتب « انجيل برنابا » :

جمع بعض الكتاب [13] أدلة على أن كاتب إنجيل برنابا كان يهوديا لمعرفته بأشياء لا يعرفها إلا اليهود .. وينتقل إلى بيان جهل الكاتب ببعض الحقائق الإسلامية ثم يقفز بنا إلى ادعاء أنه أعتنق الإسلام .. وساق أدلة أيضاً مما ورد فى إنجيل برنابا .. وهكذا حكم المؤلف بما يراه من سوق عبارات من هنا ومن هناك .. وإذا كان لابد لنا أن نستنبط شيئا مما قاله المؤلف وأورده فإننا نستنبط أن كاتب الإنجيل عاش الأيام الأولى للمسيحية وعرف أن المسيحية رسالة انتقالية جاء صاحبها ليتم ناموس الشريعة التى أنزلت على موسى عليه السلام .. وليبشر بشريعة جديدة — عقب تمام الأولى — وهى شريعة الإسلام .. وقد غاب عن المؤلف أن إنجيل برنابا لم يصل إلينا فى لغته الأولى — كما لم تصل الأناجيل الأخرى أيضا بلغتها الأولى

(١٣) انجيل مزيف ... بقلم عوض سمعان ص ٨١

ـ وأن الإنجيل مترجم عنها إلى الإيطالية ـ ولم يترجم بلغة قبلها لما احيطت بها النسخ المخالفة من أوامر الإحراق والحرمان ..

ولعل المترجم قد نقل مفهوم النسخة الأصلية .. وهذا ما لا ينكره المسيحيون أنفسهم إذ إن طبعاتهم المتوالية للأناجيل يطلقون عليها اسم : الترجمات التفسيرية .. بل وهم يعلمون أن الوحى عندهم .. بالمعنى .. لا باللفظ والحرف كما فى الإسلام ، ولهذا فقد نقل الكتاب أناجيلهم ـ كما يعتقد النصارى ـ عن الروح القدس بالإلهام .. ودونوها بلغاتهم ..

وإذا صح ما وصل إليه البعض من استنتاج لديانة كاتب إنجيل برنابا فإنه يصح استنتاج اتجاهات كتاب الأناجيل والرسالات .. وبيان أصول هذه الكتابات مما لا ينتمى لدين أو منهج سماوى (١٤) .

(د) القاء الشبه على يهوذا : (١٥)

نحن ـ المسلمين ـ نعتقد بأن المسيح عليه السلام لم يصلب وأن الله تعالى نجاه .. قال تعالى : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى »

أما ما عدا ذلك من أحداث فهى لا تمس صميم الإيمان .

وأما المسيحيون فهم لا يعتقدون ذلك بل يزعمون أن المسيح عليه السلام صلب ومات على الصليب تكفيراً عن خطايا البشر وهذا أمر نرفضه .. ويؤيدنا فى ذلك الأحداث التى روتها الأناجيل المعتبرة عند المسيحيين ..

١ ـ فقد طلب اليهود جاسوسا يمكنهم من المسيح عليه السلام .. ووجدوا ضالتهم فى شخص « يهوذا » ..

---

(١٤) راجع فى ذلك مقارنات الاديان ـ المسيحية د. احمد شلبى واظهار الحق ـ رحمة الله الهندى .

(١٥) حول الانجيل ـ الياس زحلاوى ص ٧٨ وما بعدها .
انجيل مزيف ص ١٠٨ وما بعدها .
انجيل برنابا شهادة زور ـ ص ١٧ وما بعدها .

٢ ـــ جعل يهوذا العلامة بينه وبين من سيقبضون على المسيح عليه السلام أن الشخص الذى سيقبله فهو المسيح ..

٣ ـــ خرج المسيح ـــ حسب روايات الأناجيل ـــ إلى الجنود وسألهم من يطلبون فقالوا نطلب المسيح .. فلما عرفهم أنه هو المسيح تراجعوا مذعورين .. وقيل إن ذلك قد حدث مرتين .

٤ ـــ جميع التلاميذ أنكروا المسيح حتى بطرس أنكره ثلاث مرات ..

٥ ـــ حوكم المقبوض عليه أمام الكهنة ليلا .. ولم يحاكم نهاراً .

٦ ـــ عندما اقتيد المقبوض عليه إلى بيلاطس ليسأله .. تضاربت أقوال الأناجيل فى هذه المحاكمة .. فذكرت إحدى الروايات أنه لم يرد عليه ..

وذكرت رواية أخرى ـــ عن نفس المحاكمة ـــ أنه رد عليه ردا مطولا .. وهذا يدل على :

(ا) جهل الجنود بشخصية المتهم ..

(ب) جهل الوالى نفسه بهذه الشخصية ..

(جـ) الذين دونوا الروايات أنفسهم كانوا يجهلون حقيقة المحاكمة وما دار فيها .. إذ لو عرفوها حق المعرفة لما زعم واحد منهم أن المتهم لم يرد فى الوقت الذى يزعم فيه الآخر أنه رد ردا مسهبا .. والقضية خطيرة لا تحتمل مثل ذلك .

٧ ـــ فإذا أضفنا إلى ذلك تضارب الأقوال حول نهاية يهوذا .. وإذا أضفنا أيضاً .. أن أنصار المسيح عليه السلام كانوا قلة مطاردة .. وأن أعداءه كانوا الكثرة الغالبة .. عرفنا كيف ضاعت الحقيقة .. أمام كثرة الباطل .. فإذا سمعنا بعد ذلك الكثرة تقول إنهم قتلوا المسيح .. فإلى أين تصل ادعاءات القلة المطاردة ؟ .

إننا إذا سمعنا بعد ذلك أصواتاً تردد أن المسيح عيسى بن مريم مات على الصليب عرفنا أن هذه الأصوات صدى لادعاءات اليهود وأعوانهم .

ويحلو للبعض أن يناقش القضية مناقشة أقرب إلى السفسطة منها إلى الحق .. وقد تعرض مؤلفون مسيحيون ــ عند مناقشتهم لما جاء فى إنجيل برنابا لموضوع .. الصلب وإلقاء الشبه على يهوذا .

ولا يهمنا فى التعرض لمثل هذه القضية إلا أن نثبت للقارىء أن ما يستحله القوم من حجج وأقوال فى موضوع لا يقبلونه نفسه فى موضوع آخر .. ونقرأ الآن بعض ما استدل به كاتب على إبطال القول بأن يهوذا صلب بديلا عن المسيح .. يقول الكاتب (١٦) .

« لو فرضنا أن الله أراد أن ينقذ المسيح من أيدى اليهود لكان قد أنقذه بوسيلة تجعلهم يعرفون عظمته تعالى وسلطانه .. ولكن إنقاذ الله للمسيح بواسطة إلقاء صورته على غيره لا يشعر اليهود بشىء من عظمته تعالى أو سلطانه .. لذلك لا يمكن أن يكون قد رفع المسيح سرا إلى السماء » .. « فضلا عن ذلك ، لو كان الله قد ألقى صورة المسيح على إنسان ما لكى يصلب عوضا عنه لكان تعالى قد لجأ إلى طرق الغش والخداع التى لا يلجأ إليها إلا الضعيف المحتال ، لأن هذا لا يستطيع القيام بأعماله جهرة » ..

نقول إن مثل هذا القول ــ لو أخذناه على علاته ــ إذا دل على عدم إلقاء الشبه على يهوذا .. فإنه يستخدم هو نفسه للقول بعدم صلب المسيح وبطلان قضية الصلب نهائيا .. إذ إن الصلب ينسب إلى الله ما لا يليق من ضعف وعجز وانعدام للحكمة الإلهية ..

إنه نفس المنطق .. فإذا رفض إنجيل برنابا لمثل هذا المنطق فليرفض القول بالصلب وادعاء أن المسيح ابن الله . لنفس السبب .

ولكن هل رفع المسيح سرا ؟ .. إن القضية لا يمكن أن تكون كذلك

---

(١٦) انجيل مزيف ص ٨٠٦

بل لقد رافق الخلاص ظواهر وأدلة قاطعة .. أشرنا إلى بعضها .. إذ ما معنى إنكار المقربين من المسيح له ؟ بل وما معنى قوله لزعماء اليهود .. حيث أكون لن تستطيعوا أن تأتوا .. فتعجبوا من ذلك وظنوا أنه سيقتل نفسه ..

وما معنى إنكار المقبوض عليه لكونه المسيح .. وغير ذلك مما هو مفصل فى أماكنه من دراسات مقارنات الأديان [١٧] .

أما أن يرتفع أمامهم فليس بمفيد فى شيء إذ حدثت أمامهم المعجزات فما ازدادوا إلا إصراراً على كفرهم .. فإحياء الموتى .. وشفاء المرضى وإعادة البصر .. كل هذه معجزات كبرى فهل أغنت شيئاً ؟ ولذا فقد جاءت معجزة الإنقاذ فى إطارها .. الدلالات تتوالى .. والعلامات تتضح .. وكأى أمر .. له مؤيدون ومعارضون فوجدنا الذين آمنوا بالآية وأيقنوا أن الله خلص المسيح ووجدنا آخرين ضرب على قلوبهم وختم على سمعهم وأبصارهم فما استطاعوا فهم شيء من الاعجاز ..

ولما لم تؤثر المعجزات المباشرة ، والعلامات الباهرة كان طبيعيا ألا يلتفت هؤلاء إلى تلك الظواهر .. إذ لم يحكموا عقولهم ، ولم يفكروا .. فكانت النتيجة ما رأيناه من اضطراب .

(هـ) اثبات الأكاذيب فى انجيل برنابا :

مما يدفع الإنسان إلى العجب أن بعض الكتاب [١٨] اختار منهجا لإثبات الأكاذيب فى إنجيل برنابا .

فلقد ذهب يذكر بعض ما ذكر فى الإنجيل المذكور .. ويوازن بينه وبين ما ورد فى باقى الأناجيل .. ليخرج من هذه الموازنة بنتيجة هى كذب ما ورد فى إنجيل برنابا لمخالفته ما ورد فى الأناجيل ..

---

(١٧) دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام للأستاذ منصور حسين .. وفيه تفصيل جيد لهذا .

(١٨) انجيل مزيف .. بقلم عوض سمعان ص ١٢٦

وكأن المؤلف أراد من كاتب إنجيل برنابا أن يلتزم بما ورد فى غيره .. ومعلوم أن هذه المخالفة أمر طبيعى .. ولا تفيد شيئاً فيما نحن بصدده .. وليست سوى تضييع للوقت .. إلا أنه استلفت انتباهنا اعتراض المؤلف على ما جاء فى إنجيل برنابا : « وجاء فى ص ١٦٥ أن الله اعتبر الكذب فى سبيل الحمد (أو المدح) فضيلة » واعتبر المؤلف ذلك جريمة من كاتب إنجيل برنابا ورد عليه بقوله :

« والحال ان الله منزه عن الكذب .. وقد نهى عن الكذب نهيا باتا .. الخ »

والواقع أن ما جاء به إنجيل برنابا ليس بدعاً فى التفكير المسيحى .

● فلقد استحل بولس الكذب حيث « استعبد نفسه للجميع » فظهر أمام كل طائفة بما يتفق مع ميولها ليكسب من كل قوم حالا .. فأى كذب أبشع من هذا ؟ وهو أيضا فى سبيل الإيمان من وجهة نظره ..

● لم يتورع بولس عن الكذب حين مدوه للسياط فزعم أنه رومانى « غير مقضى عليه » ..

« واختشى الأمير لما علم انه رومانى ولأنه قيده » [أ ع ، ٢٢ : ٢٥ ــ ٣٠]

ومعروف أنه لم يكن رومانيا ..

● جاء فى رسالة بولس إلى رومية ٣ : ٥ ــ ٩ :

« ولكن ان كان اثمنا يبين بر الله فماذا نقول .. العل الله الذى يجلب الغضب ظالم . اتكلم بحسب الانسان . حاشا فكيف يدين الله العالم اذ ذاك . فانه ان كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا ادان انا بعد كخاطىء » ..

وهذا واضح الدلالة .. فكيف يجوز مثل ذلك لبولس ؟

إن الكذب يهدى إلى الفجور .. ولا نريد أن نبرر ما قاله برنابا فى إنجيله .. وإنما نريد من القوم أن يستيقظوا وأن يعودوا إلى الله .

* * *

تعليـــق

عندما يتصفح القارىء بعض الكتابات يتملكه العجب .. وعلى سبيل المثال عندما يقرأ أن إنجيل برنابا قد ترجم عن نسخة إيطالية منســوبة إلى مؤلفها نفاجأ بأقلام تشتد فى دحض هــذه المزاعم وتلجــأ فى ذلك إلى كل ما يؤيد وجهة نظرهم ، ومما يشتد له العجب أن نفس هذه الأقلام تقع فى الأخطاء التى تحذر منها ..

ونسوق مثالا لذلك حول إنجيل برنابا الذى قيل فيه ما قيل .. إذ قــد ألف بعض المؤلفين كتابا عن برنابا حــكى فيه قصــصا عن برنابا .. ثم ذيله برسالة قال عنها إن برنابا ألفها .. ولكنه يذكر المتناقضات التى تجزم أن هذه الرسالة ليست من تأليف برنابا فيقول [١] :

« لم يذكر حقيقة اسم برنابا على الرسالة .. ولكن التقاليد القديمة تؤكد نسبتها إلى برنابا » ..

هكذا وبلا أدنى سند سوى التقاليد القديمة » [٢] ..

ويقول : « زمن كتابتها .. البعض ينسبه إلى وقت هدم الهيكل القديم ولو أن كاتبها لم يعش إلى ذلك الحــين .. ويرى بعض المؤرخين أن تاريخ هذه الرسالة ينحصر بين سنة ٧٠ وسنة ١٣٠ م ، ويقول إنها كتبت بمدينة الأسكندرية نظراً لأن الطريقة الرمزية كانت منتشرة بها » ..

ويكفى .. أن تتأمل مثل هذه العبارات .. لترى مدى زيف ادعاء نسبة مثل هذه الرسالة إلى برنابا بل ويرجــح نســبة انجيــل برنابا المترجم عن الإيطالية إلى برنابا وان كان هذا لا يهمنا بشىء .. بل يؤكد حقيقة هــامة وهو الشك فى النصوص التى يقدسها طائفة من الناس .. لعل الله يهدى إلى الصواب .

---

(١) راجع : حياة برنابا للقمص بيشوى عبد المسيح ص ٤٣ .

(٢) صدق الله العظيم اذ يحكى عن الكفار : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

الباب الثالث

الاختلاف والاتفاق بين الأناجيل

الفصل الأول

السبب فى تأليف الأناجيل :

انجيلا برنابا ولوقا

دارت حول إنجيل برنابا شكوك كثيرة وزعم كثير من الباحثين أنه منحول ، ولقد ذهب مترجمه إلى العربية إلى افتراض أن واضع هذا الإنجيل ربما كان مسلما متعمقا أراد أن يرد على الأناجيل الأخرى بنفس اللسان ولكن هذا الزعم مردود .. لما يأتى :

● وجود نسخة هذا الإنجيل فى مكتبة البابا بالڤاتيكان وهو أمر ينفى تزوير هذه النسخة « وكيف ينحدر إنجيل كاذب كهذا إلى مكتبة البابا ثم إلى البرنس أيوجين ثم إلى مكتبة البلاط الملكى بفينا ؟ وكل هذه أوساط مسيحية لا يمكن أن تسمح لكتاب كاذب يهاجم عقائد المسيحية بأن يتسرب إلى مكتباتهم وأن ينال العناية .. من تجليد وتذهيب » [1] .

● لو ألف هذا الكتاب شخص ما .. مسلما أو غير مسلم لنسخه أعداء المسيحية وروجوا له واستدلوا به وهو ما لم يحدث بل ظل فى طى الكتمان حتى ظهر مترجما إلى الإيطالية ثم إلى الانجليزية والإسبانية وأخيرا إلى العربية .

---

(١) انظر مقارنة الاديان [المسيحية] تاليف د. احمد شلبى ص ٢١٩

وهكذا نرجح أن إنجيل برنابا .. هو أقرب نسبة إلى صاحبه .. بل إننا نقول مع غيرنا من الباحثين .

إن نسبة هذا الإنجيل لبرنابا أقوى من القول بنسبة إنجيل متى إليه وكذلك القول فى سائر الأناجيل [٢] وقد يقول قائل لقد كان الأولى الإعراض عن تناول هذا الكتاب بالمقارنة مع غيره نظرا لحداثة عهد اكتشافه وكثرة الشكوك حوله .. ونقول إن الشكوك التى ثارت حول الأناجيل الأربعة لم تمنعنا من تناولها بالدراسة ولم تمنع أتباعها من التصديق بها فلماذا نعرض عن دراسة إنجيل برنابا ونقارنه بغيره .. ومكانته العلمية لا تقل عن غيره بل ربما تزيد على ما سنرى من الموازنة إن شاء الله تعالى .

● يسوق لنا برنابا السبب الذى من أجله كتب إنجيله فيقول تحت عنوان : « الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى بالمسيح .. نبى جديد مرسل من الله إلى العالم بحسب رواية برنابا رسوله » :

« برنابا رسول يسوع الناصرى المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاما وعزاء .

أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى . مبشرين بتعليم شديد الكفر . داعين المسيح ابن الله . ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما . مجوزين كل لحم نجس . الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه . إلا مع الأسى . وهو السبب الذى لأجله اسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله . وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا » [٣] .

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠

(٣) انظر انجيل برنابا ص ٣

وهكذا نرى أن القديس برنابا يقدم لنا السبب الحقيقى الذى سطر من أجله هذا الكتاب المنسوب إليه .. إنه يكتب للرد على بولس الذى ضل فى عداد الشياطين وبشر بتعليم جديد شديد الكفر .. وذلك حتى يتبين الناس الحقائق ، ولا يضلهم الشيطان فيهلكوا فى دينونة الله كما يشرح برنابا .

وإذا كان برنابا أحد التلاميذ وقد باع ما يملك وأحضر إليهم المال لينفقوه على الدعوة كما تذكر الأناجيل الأربعة ..

فمن هو بولس ؟ وما شأنه ؟ ولم اهتم برنابا بالرد عليه ؟ يذكر سفر أعمال الرسل أن بولس ولد فى طرسوس وتربى فى أورشليم وأن اسمه شاؤل وأنه من الفريسيين ولم يكن بولس (شاؤل سابقا) من تلاميذ المسيح بل لم ير المسيح فى حياته ولم يسمع منه أية موعظة من مواعظه .

وكان عدوا للمسيحين يضطهدهم ويطاردهم كما تصرح بذلك الإصحاحات من أعمال الرسل : « واما شاؤل فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن » [٤] .

وفجأة انقلب شاؤل إلى المسيحية .. ولم ينقلب مسيحيا عاديا بل انتقل من مرتبة الكافر المناوىء للمسيحية إلى مرتبة الرسل المبشرين بها فصار ملهما ينطق بالوحى فى اعتقادهم [٥] ولما أراد شاؤل أن يتصل بالتلاميذ .. خافوا منه ولم يصدقوا إيمانه ولكن برنابا شهد له مما جعل التلاميذ يقبلونه ويمكن أن نلاحظ الملاحظات الآتية حول بولس :

١ ــ أنه لم ير المسيح مطلقا ..

٢ ــ كان بولس قبل التحاقه بالمسيحية شريراً مضاداً للمسيح فى حياته محاربا أتباعه ..

---

(٤) اعمال الرسل اصحاح ٨ : ١ ــ ٣

(٥) انظر النصرانية والاسلام للمستشار محمد عزت اسماعيل ص ٢٤٧

٣ ـ نلاحظ فى تركيب شخصية بولس تقلب المزاج وعدم الاستقرار والسعى لمنفعته الشخصية مثال ذلك :

(أ) لما علم أن الجمع منهم صدوقيون وفريسيون صرخ قائلا أيها الرجال الإخوة .. أنا فريسى على رجاء قيامة الأموات .

« والفريسيون يقولون ان هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح فى الدنيا » ..

ولكن هل أخلص بولس لهذا المبدأ ؟ لنرى ..

(ب) فى آخر إصحاح ٢٢ من سفر الأعمال نجد أن بولس يزعم أنه رومانى ..

(أى ليس فريسيا ولا غيره) .. « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا انسانا رومانيا غير مقضى عليه ؟ ! وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين ان يفحصوه واختشى الأمير لما علم انه رومانى لأنه قيده » ..

فهل يا ترى كان بولس رومانيا ولم يكن يهوديا فريسيا ؟ أم أنها حيلة أفلت بها من العقاب وأصر على ذلك عندما روجع فيها ؛ فتم له الإفلات من العقاب بتلونه فى جنسيته (٦) .

(جـ) وانتقاله الفجائى من العداوة الشديدة للمسيحيين بالدعوة إلى المسيحية كما يراها .. هل هو نوع من ذلك التلون وعدم استقرار الشخصية .. أم هو مجرد تلون ظاهرى مع بقاء عداوته للمسيح ورسالته ؟ حيث اتخذت مظهراً آخر بتحطيم المفاهيم بدلا من تحطيم الأشخاص .

(د) وكان أمره عجبا فى دعوته وتبشيره إلى المسيحية فقد تلون (أو تأقلم) حسب ظروف الأقوام الذين يدعوهم .. فلا مانع أن يقر الوثنيين على وثنيتهم مكتفيا منهم بالاتباع الظاهرى ، فإذا ما استاء قوم من الختان (وهو سنة الأنبياء ومنهجهم) فإنه يعز عليه أن يزعجهم أحد فيلقى من على أكتافهم عبء الاختتان ..

---

(٦) المصدر السابق . وراجع ما كتبناه عن بولس .

بل إن نشرة الفاتيكان تعترف صراحة بما جلبه بولس على المسيحية فتقول « كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثى الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع » [٧] .

وبولس يصرح بمدى تأقلمه وتلونه فيقول فى سفر كورنثوس الأول

« استعبدت نفسى للجميع لكى أربح الأكثرين صرت لليهودى كيهودى لكى أربح اليهودى ، وللناموسيين كالناموسيين .. ولغيرهم كأننى بغير ناموس .. صرت لكل كل شىء لعلى أستخلص من كل حال قوما » [٨] ..

ونحن هنا أمام سياسى ماكر يوصى حديثى الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه ، ويتلون أمام الشعوب والأحياء لكى يربح الأكثرين .. فهو يريد أن يجتمع حوله ناس كثيرون .. قوة .. بشرية تحيط به ولا يهم بعد ذلك .

(هـ) ونجد هذا التلون واضحاً فى التشريعات التى يلقيها بولس إلى الذين ربحهم فى زعمه .. فهو لا ينسى نفسه ، ويستكثر أن يكون الوحى منفرداً بالتشريع فنراه أحيانا ينسب آراءه إلى عيسى ، وكان أحيانا يعترف بأنه يشرع من عنده هو وبرأيه هو ومثال ذلك يقول : « أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب ألا تفارق المرأة زوجها ..

« وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب .. .. وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكننى أعطى رأيا » ..

ولعلنا الآن قد كونا رأياً محدداً وصورة واضحة لمعالم شخصية بولس .. وهنا نفسر موقف برنابا من بولس أول الأمر ، فلقد نجح الأخير فى إقناع برنابا بتوبته وقد صدق برنابا ــ بصفاء نية الحوارى وصدقه ــ أن بولس قد كف عن الشر ، ولهذا لم يمانع برنابا فى أن يدخل بولس فى زمرة الحواريين يجلس معهم ويتعلم منهم بل إنه اصطحبه معه فى الدعوة والتبشير إلى قبرص وغيرها ..

---

(٧) مقارنة الأديان المسيحية ــ د. احمد شلبى ص ١٢٥ نقلا عن المسيحية عقيدة وعمل نسخة الفاتيكان .

(٨) نقلا عن كتاب الله واحد أم ثالوث للأستاذ محمد مجدى مرجان ص ٨٥

وفجأة يفترقان .. برنابا يترك بولس ويمضي مختلفا عنه ، مفارقا له .. ويختلفان فى المبادىء ولم يكن برنابا وحده الذى ترك بولس بل انفض عنه الجميع وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن الحق مع أى الفريقين ؟ هل يعقل أن يكون برنابا والحواريون على الباطل وهم الذين عايشوا المسيح عليه السلام وسمعوا منه وضحوا فى سبيل دعوته ؟ (٩) .

هل يعقل أن يكون الحق بجانب بولس وهو كما علمنا من أحواله تلونا وحقدا ؟

هل يمكن أن يحكم بولس بالضلال على برنابا ويكون صادقا فى حكمه ؟ ..

لقد انفض الرعيل الأول المدعوة عن بولس الذى كان كل همه أن يربح الكثيرين ويجعل لنفسه سلطانا عليهم وكان لابد من الرد على ضلالات بولس فكتب برنابا إنجيله حتى يأخذ بيد القوم فلا يقعوا فى حبائل بولس ويخدعهم بدهائه وحيله .. ولعل برنابا قد رأى أنه مسئول عن تقديم بولس للحواريين فقبلوه لمكانة برنابا عندهم .. وبالتالى فقد رأى أنه أكثر مسئولية عن الرد على انحرافات هذا الذى توسط له وأجلسه بين الصالحين ، ولكن بولس لم يرع للمجلس حرمته .. ولا للوساطة هيبتها فاستدار يتهم الجميع بالضلال . « .. لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى » .. « حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى رياء الآخرين » (١٠) .

وهكذا تظهر هذه المفارقات العجيبة التى تثير الشكوك فنرى بولس يخرج على كل الحواريين ويتهمهم .. وهؤلاء لا يمكن أن يسكتوا فهم أمناء على الرسالة ولابد من التحرك لإيقاف هذه الموجة العاتية ، وهذا ما نراه فيما يقدمه برنابا تبريراً لتأليف إنجيله .. والملاحظ من النبرة التى قدم بها التبرير أنها نبرة أسف إذ حدث ما لم يكن يتوقعه برنابا فقال عن بولس إنه يتحدث عنه مع الأسى .. أى لم يكن متوقعا منه أن ينكص على عقبيه

---

(٩) انظر مقارنة الاديان المسيحية د. احمد شلبى ص ١٢٣

(١٠) انظر النصرانية والاسلام للمستشار محمد عزت اسماعيل ص ٢٥٥

ويعود إلى خروجه على المسيحية واضطهاد أهلها .. ولهذا سطر هذا الإنجيل للرد عليه وإفحامه ..

ولقد قام القديس برنابا بواجبه خير قيام فى التصدى لمحاولات بولس ، ولا يضيره بعد ذلك إذا كانت نداءاته لم تجد الأذن الصاغية . كما وجدت ضلالات بولس .

والتقديم نقطة هامة اتفق فيها إنجيل برنابا مع إنجيل لوقا الذى قدم لنا المبرر الذى من أجله سطر إنجيله فيقول فى الإصحاح الأول « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس . لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » ..

وهذا المبرر له أهميته إذ نستطيع أن نستنتج منه أمورا منها :

١ ــ أن الكتب (أو القصص) المؤلفة فى الأمور الأولى للمسيحية لا تحصى .. فهى ليست أربعة أو عشرة بل لعلها تناهز المائتين أو أكثر أو أقل .. والله أعلم .

٢ ــ أن جميع الذين كتبوا هذه الكتب من ذوى المكانة السامية فى الدين فهم موثقون من وجهة نظر لوقا فهو يقول :

« قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة » .

وهذه شهادة صريحة بتوثيق كل الذين كتبوا (أو تعديلهم حسب مصطلح الحديث عند المسلمين .. أى الشهادة بأنهم شهود عدول فيما نقلوه) يدل على ذلك التعبير (كما سلمها ..) أى أنهم لم يكتبوا شيئا من عند أنفسهم .. وهذا معناه أن تكذيب الكنيسة لبعض من كتبوا ، ورفضها

لكتاباتهم بحجة أنها شهادات مزورة يعتبر جريمة من وجهة نظر « لوقا » وفيه دليل على أن الكنيسة فى رفضها لم تستند إلى حجة شرعية هذا وهناك احتمال آخر أن كلام « لوقا » لا يقصد به شيئاً من هذا القبيل .. وفى هذا الاحتمال هدم للاحتجاج بأى شىء من هذا الإنجيل ..

وخلاصة القول أنه لو صح كلام لوقا فى الشهادة لكتاب قصة الأمور المتيقنة لكان معنى هذا خطأ الكنيسة فى رفض هذه الكتب أما إذا لم يكن كلام لوقا صحيحا وصادقا فإن معنى ذلك أن يرفض هذا الكتاب من أساسه ..

٣ ــ أن الكتابات التى كتبت إنما هى من قبيل التأريخ للأحداث ولم يكن الهدف منها تصوير عقيدة .. فالكتاب قد سمعوا ودونوا ما سمعوه .. فهى كتابات يغلب عليها الحكاية (قصة) كما ذكر لوقا .. ولهذا فلا يجوز التعبد بقراءتها أو التبرك باقتنائها وإنما تقرأ كغيرها من الكتب المؤلفة .

٤ ــ إن زعم الوحى لم يدر فى ذهن هؤلاء المؤلفين بل كانت كتاباتهم اجتهادات فى التدوين .. من المصادر التى سمعوا منها ..

٥ ــ وأخيرا يعترف المؤلف أن هذا الذى يكتبه إنما هو رسالة شخصية إلى « العزيز ثاوفيلس » والرسالة الشخصية أقرب إلى الخواطر والاستطرادات .. وهى أقرب إلى حديث الصداقة ، وهناك أمر آخر على درجة من الخطورة ذلك أن « لوقا » لم يكتب لصديقه التعاليم التى يجب أن يتبعها أو العقيدة التى عليه أن يؤمن بها بل أرسلها إليه على التوالى « لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » .. فكتابات لوقا كانت تأييدا ــ فقط ــ للكلام الذى علمه « ثاوفيلس .. » فما هو هذا الكلام ؟ وما حقيقته ؟ إنه لا يمكن أن يتطابق مع كلام لوقا .. إذ لو صح لنا أن نتخيل الموقف نجد أن « ثاوفيلس » قد تعلم أمورا فى العقيدة .. واستشار « لوقا » فيما تعلمه فكتب لوقا موضحا .. شارحا .. وجهة نظره .. فهل تعلم الصديق شيئا ووضح له لوقا ؟ يجوز ذلك ، ويجوز أن يكون لوقا فى

موقف المؤيد .. وخصوصا إذا كان « ثاوفيلس » [11] أميراً أو حاكما .. فهذا يتطلب من لوقا التأييد والموافقة لما يتعلمه الأمير وما يتلاءم مع اتجاهاته .

وعلى هذا فليس كتاب لوقا ــ بهذا المعنى ــ كتابا دينيا ، وإنما هــو آراء مختلفة يوضحها الصديق لصديقه والله أعلم وهذه الاستنتاجات تأتى من النظرة الفاحصة للتقديم وقد بقى أن نوازن بين مقدمة برنابا وتبريره لتأليف إنجيله ومقدمة لوقا وتبريره لتأليف إنجيله .

وأول ما يلفت النظر أن مقدمة برنابا تمتاز بما يأتى :

● الموضوعية فى العرض إذ نراه يؤخر المسائل الشخصية وهو يكتب لكل الناس .. ويصب نقده على الأفكار ، وليس على الأشخاص إذ يهمــه توضيح الحقائق للناس .

● الاتجاه إلى العالمية ، والمقدمة تغلب عليها الروح الإنسانية بما فيها من حب وصداقة وبر فيقول « برنابا رسول يسوع الناصرى المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاما وعزاء » وهذه الروح قريبة جدا من اتجاه المسيح عليه السلام وسيرته إن لم تكن هى ذات الاتجاه والسيرة .

● الإشارة السريعة إلى جوانب الخروج على الناموس مما دفعه إلى كتابة رسالته حتى يرد الناس إلى الناموس الذى لم يأت المسيح لينقضــه وإنما ليتمه ويكمله .

و أول هذه الجوانب ــ وأخطرها ــ الزعم بأن المسيح ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيراً .

ــ رفض الختان وهو واجب صريح فى العهد القديم .

ــ تحليل اللحوم النجسة ..

---

(11) اسم يونانى معناه : محبوب الله .. ولعل هذا الشخص كان رومانيا وصاحب منصب كبير . وربما كان محاميا ... أو غير ذلك فهو شخصية مجهولة مما يؤكد على أن إنجيل لوقا ورسالة الأعمال ليسا سوى رسائل شخصية وهما أبعد ما يكون عن الوحى ... انظر قاموس الكتاب المقدس .

● تحدث برنابا عن بولس فى صراحة ووضوح :

« الذين ضل فى عدادهم أيضاً بولس » ..

ولكنه لا يسوق هذه الصراحة مساق الشماتة والتجريح ولكنه يسوقها فى معرض الأسى والحزن لما أصاب بولس من ضلال ..

« لا أتكلم عنه الا مع الأسى » ..

أما مقدمة « لوقا » فهى تختلف عن ذلك اختلافا بينا ومما تتميز به هذه المقدمة :

● إبراز النزعة الشخصية « رأيت أنا أيضاً » .. فهو اتجاه شخصى ومنزع فردى؟ . ثم إنه يوجه الحديث إلى « العزيز ثاوفيلس » وليس إلى سكان الأرض كما فعل برنابا .

● النزعة التقليدية إذ إن « لوقا » رأى أن الكثيرين يكتبون .. فلماذا لا يكتب هو الآخر ؟ .. فهو مقلد غيره .. كتب كما كتبوا .. ولو لم يفعلوا لما فعل ..

● نسب لوقا إلى نفسه « التدقيق » .. « إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق .. » فى حين إن برنابا ذكر أنه يروى .. حسب روايته . « نبى جديد مرسل من الله إلى العالم بحسب رواية برنابا رسوله » ولم ينسب برنابا لنفسه التدقيق كما فعل لوقا لأن لوقا محتاج لمثل هذه الشهادة عن نفسه إذ إنه يروى عن غيره .. يسمع من سواه فكان لابد من الحديث عن الدقة حتى يطمئن إليه صديقه ثاوفيلس أما برنابا فهو يروى رواية شاهد عيان لا سبيل إلى الشك فيما يرويه ..

ولعلنا نكون قد وضحنا الإطار العام لمقدمة كل من الإنجيلين اللذين اشتركا فى نقطة أولى وهى التبرير لما يكتب .. ولكن شتان بين التبريرين وما يحتويانه من إشارات كما رأينا .

* * *

مقـــدمة انجيل يوحنا :

تختلف هذه المقدمة عن غيرها من المقدمات فليست لها صراحة مقدمة لوقا فى الاعتراف بما أشرنا إليه .. كما أنها لا تحمل موضوعية مقدمة برنابا .. بل إنها تحمل مع أول جملة فيها جوا من التناقض والغموض .

« فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » ..

ولا أدرى كيف الكلمة تكون عند الله وكيف تكون هى الله .. ثم يقول « هذا فى البدء عند الله » .

ولا أدرى كذلك ، المشار إليه ؟ هذا فى البدء .. هل يقصد الغموض والتناقض كان عند الله أم ماذا .. ويستمر الغموض والتناقض بل ويزدادان دكنة وظلاماً وتأمل معى هذا التركيب .. « كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس . والنور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه » ..

ولقد حاولت أن أتعرف على معنى واحد يستقيم بين هـــذا الركام من التعبيرات فلم أفلح ..

● كل شىء به كان .. وبغيره لم يكن شىء مما كان هل المقصـــود كل شىء بالله .. إن كان هذا فلا شىء وبالتـــالى فلا داعى لذكر الكلمـــة التى كانت عند الله .. وكانت هى الله فى زعمه .. أم أن المقصود .. كل شىء به كان أى بالكلمة ؟ .. ولا يستقيم له ذلك إذ معناه أن الله محتاج للكلمـــة وقاصر بدونها ..

وانتقل ــ أخى القارىء ــ وتأمل فى قوله .. الحياة كانت نور الناس .. كيف ذلك ؟ ومتى كانت ؟ هل كانت نور الناس قبل أن يخلقوا .. ؟ أم بعد أن خلقوا .. وقس على ذلك كل ما جاء فى المقدمة .

وهنا تذكرت حديث تولستوى الذى اقتطفت جانبا منه آنفا .. حيث قال : هل هذا كلام الله ؟

فعلا .. لو كان هذا كلام الله فإن الله يعلم مدى قصور العقل البشرى وقدرته المحدودة على الفهم وهو — سبحانه — قادر على أن يكلمه بأسلوب يفهمه ولا يتوه فيه .. وهذه المقدمة لإنجيل يوحنا ترينا كيف كان أسلوب برنابا موضوعيا هادفاً يعمد إلى العقل البشرى فى وضوح وعمق بعكس يوحنا الذى عمد إلى كل الأعراف البشرية فسخر منها فلا اللغة مفهومة ، ولا الفكر مستقيم .. وهذا يجعلنا نضرب صفحا عن الإطالة فى بحث هذه المقدمة ونكتفى بذكر ما تتميز به :

١ — الغموض الذى يدفع إلى الحيرة مما يجعل الإنسان أقرب إلى رفض ما فيها من أفكار .

٢ — التناقض الواضح بين عباراتها مما أشرنا إلى جانب منه .

٣ — وقد نتج هذا الغموض والتناقض من محاولة المؤلف حشد أكبر قدر من الأفكار التى امتلأت بها رأسه فهو يتحدث عن :

- النور الآتى إلى العالم .

- يجمع بين الشرق والغرب من متناقضات فى مثل قوله « كان فى العالم وكوّن به ولم يعرفه العالم » . فهو يزعم أنه .. كان فى العالم — وأن العالم كون به .. ومع ذلك لم يعرفه العالم ..

- يشير إلى من قبله ومن لم يقبله ومصير كل من الفريقين .

- شهادة يوحنا له ..

- الناموس الذى أعطى لموسى .

- النعمة والحق بيسوع .

هذه الأفكار منثورة فى الكتاب كله ولكن المؤلف يتعجل الأحداث ويريد أن يحشو بها أدمغة قرائه منذ البداية .

ويوحنا بهذه المقدمة يضع كتابه كله موضع الشك والتساؤل ..

الهدف من وضع انجيل يوحنا :

يوضح كاتب الإنجيل هدفه من وضع كتابه فهو ليس لكشف الأباطيل كما صرح برنابا ، وليس للتدليل على صحة التعليم كما ذكر لوقا .. ولكن لإثبات قضية خاصة :

« كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكى يؤمن الكل بواسطته . لم يكن هو النور بل ليشهد للنور » ..

وفى هذه الشهادة أمور نحب أن نشير إليها :

١ — أنها جاءت على سبيل الحكاية « كان إنسان ... » الخ مما يوحى بأن هذه الكتابات ليست من تأليف يوحنا بل هى مروية عنه بطريق مجهول ..

٢ — أن هذا الشخص قد استقدم للشهادة أو طلب منه أن يقول ويشهد « هذا جاء للشهادة » فهو شاهد على قضية ..

٣ — وهذا الشاهد قد حدد له الهدف :

« لكى يؤمن الكل بواسطته » ..

وهذا يذكرنا بقول بولس :

« لكى أربح الأكثرين » ..

٤ — « لم يكن هو النور » هذه العبارة تأكيد على أن الكتاب رواه مجهول عن شخص اسمه يوحنا .. وإلا فليس لها معنى إذا لم تكن إخباراً

من شخص عن شخص آخر ، وكما قلت فإن البحث فى هذه المقدمة تجعــل الكتاب كله موضع شك ومما يؤكد هذا الشك أن كتاب المسيحية أنفسهم يتجاوزونها ولا يدققون فيها إلا بكلام غامض فيه عمومية [١١] لا تدل على شىء سوى تعطيل العقل والسير معصوب العينين ..



---

(١١) راجع سيرة المسيح ص ١٩ نشر كنيســة قصر الدوباره .

الفصل الثانى

الاختلاف بشأن المسيح

كان من الطبيعى أن يحدث اختلاف بشأن حقيقة المسيح فى عصره ؛ ولقد أراد الله تعالى لهذا الخلاف أن يحتدم فى حياة المسيح كى يرد الناس بنفسه إلى الحقيقة فيخبرهم أنه عبد الله ورسوله .. وليس أكثر من ذلك .. وكان من أسباب هذا الجدل :

- ولادته العجيبة من أم بلا أب ..
- ما جرى على يديه من معجزات ..

ــ إبراء الأكمه والأبرص .

ــ إحياء بعض الموتى .

إلى جانب ما روته الأناجيل من تحويله الماء إلى خمر وإسكاته الريح وتسكينه البحر .. وغير ذلك . كل هذه الأسباب حدت بالناس إلى الاختلاف والجدل فى هذه الشخصية العجيبة ..

ولقد ذكرت جميع الأناجيل أنباء هذا الاختلاف وإن كان الأمر أكثر وضوحا فى إنجيل برنابا ، ولكن باقى الأناجيل روته على نفس الصورة التى رويت بها فى برنابا إلا أننا نجدها تحاول التعمية على الأنباء القاطعة بأن المسيح عبد الله ورسوله تمشياً مع اتجاهها المخالف لإنجيل برنابا فى حقيقة المسيح وسنرى الحقائق باستعراض أقوال كل من الفريقين إن شاء الله تعالى .

أولا : فى الأناجيل الأربعة :

فى يوحنا ١ : ١٩ ـــ ٢٨ حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوا من آنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر : أنى لست أنا المسيح . فسألوه إذا ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال لست أنا . النبى أنت ؟ فأجاب لا ..

فقالوا له من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قال : أنا صوت صارخ فى البرية قوّموا طريق الرب كما قال أشعياء » ..

هذا التساؤل موجه إلى يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا عليه السلام) وفيه دلالة على انتظار الناس للمسيح .. أو إيليا .. أو النبى .. كان الناس ينتظرون هؤلاء الثلاثة أو أحدهم .. وكان من الطبيعى أن يجيبهم يحيى (يوحنا) أنه ليس واحداً من الثلاثة ولكنه جاء يمهد الطريق .. صوت صارخ فى البرية .. والبرية الصحراء أو الطريق القفر .. الخالى أو ما إلى ذلك حسب سياق العبارة .. ولعل سيدنا يحيى قد علم أن قلوب الناس قد أقفرت فهو يدعوها ليمهد طريق الإيمان .. استعداداً لما يأتى ..

نذكر هنا رواية متى ١٦ : ١٣ ـــ ٣٠ ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان . فقالوا : قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون أرميا أو واحد من الأنبياء .. قال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه (يسوع) المسيح » [١] .

---

(١) فى الترجمة التفسيرية التى صدرت سنة ١٩٨٣ توزيع دار الثقافة نجد اختلافا .
ـ « أقول لك أنت صخر وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى » .. بدل (انت بطرس) .
ـ « يكون قد ربط .. يكون قد حل فى السماء » بدل (مربوطا ومحلولا) .
ـ « ثم حذر تلاميذه » ـ « بدل حينئذ أوصى تلاميذه » .
وواضح الفرق فى معانى التعبيرات .

ونلاحظ على هذه الرواية :

١ ـ أنها تمتاز بالتطويل والتفصيل فى الحديث .

٢ ـ أن هذه الرواية تذكر إجابة بطرس للمسيح وكأنه المتحدث الرسمى بلسان التلاميذ .

٣ ـ نلاحظ أن إجابة المسيح ـ كما تذكر الرواية ـ ذات وجهين ..

(ا) وجه يأخذ به القائلون بأن المسيح إله أو ابن إله فقد صرح له المسيح « طوبى لك .. ابنى كنيستى » .

(ب) الوجه الآخر أن المسيح يؤكد لبطرس أنه بشر وهذا الوجه يعتمد على الحقائق التالية :

● **طوبى لك يا سمعان بن يونا ..**

وهذا دعاء من المسيح لسمعان بالهداية حتى يتوب من هذه الضلالة .

● إن لحما ودما لم يعلن لك .. وفى هذا توبيخ صريح له بأنه تجاوز الحقيقة ونسى أن المسيح لحم ودم وبشر فكيف يكون ابن الله الحى كما زعم بطرس . ؟ ومعنى (يعلن لك) أى يوضح لك الحقيقة ..

● ويعطيه المسيح ـ حسب الرواية ـ الإذن ببناء الكنيسة .. وأن الله سيوفقهم ولكن يأتى الشرط المهم وهو أن يكفوا أو يكف بطرس بصفة خاصة عن مزاعمه بأن المسيح ابن الله كما يقول جهال القوم ..

وتأمل الخاتمة :

« حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه .. المسيح » ..

وهو نفس ما اختتمت به روايات مرقص ولوقا ..

« فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » مر ٨ : ٣٠

« فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد » لو ٩ : ٢١

وهكذا يتبين من النص أن المسيح لم يرض عن زعم بطرس أنه ابن الله

« وأنه انتهرهم » على ذلك ولو لم يكن ما قاله بطرس افتراء على الله تعالى ما انتهرهم .. أو حذرهم المسيح .

بل كان المسيح يبارك الزعم بأنه ابن الله لو كان صحيحاً فلما انتهرهم دل ذلك على خطأ هذا الزعم .

٤ — ومما نلاحظه على رواية متى أنهـا ذكرت ما لم تذكـره روايات مرقس أو لوقا فنجد كلتا الروايتين قـد اقتصرت على رد بطرس وانتهـار المسيح لهم حتى لا يضلوا أحداً بهذه الضلالة ..

« فأجاب بطرس وقال له انت المسيح .. فانتهرهم كي لا يقولوا لأحـد عنه » .. مر ٨ : ٢٩ — ٣٠

وفى هذه الإجابة لم يذكر شيء عن البنوة المزعومة لله الحي .. بل إن لوقا يذكر أن بطرس أجاب بأنه « مسيح الله » .. فقط .. دون ذكر للبنوة كذلك ، وهذا يجعلنا نعود إلى رواية متى بالشـك فى حقيقتهـا .. رغم أن دلالتها — كما رأينا — ليست قاطعة على رضا المسيح عن قول بطرس .. فلقد كانت اجابة بطرس صحيحة فى رواية متى فكيف يغفل مرقس ولوقا هذه الاجابة رغم ما فيها من تصريح بما يؤيدانه من البنـوة المزعومة لله ؟ وهذا دليل قاطع على أن رواية متى قد تزيدت على المسيح عبد الله ورسوله ، وربما تزيدت على بطرس ونسبت إليه ما لم يقله .

ويدلنا على أن المسيح لم يمنح بطرس العهد ما ورد فى إنجيـل متى ومرقس حينما حاول بطرس أن يمنع المسيح من الذهاب إلى أورشليم قال بطرس حسب رواية متى « حاشاك يا رب . لا يكون لك هذا فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس » مت ١٦ : ٢٢ — ٢٣ .

هذه هى شهادة المسيح لبطرس فى إنجيل متى (وانظر مرقس ٨ : ٢٣) وهذه الشهادة ذات جوانب :

— إن بطرس شيطان .

ـــ إنه معثرة للمسيح .

ـــ إنه لا يهتم بما لله .

ـــ ولكنه يهتم بما للناس .

فإذا صح ذلك عن بطرس فكيف يصح عنه ما رواه نفس الإنجيل بأنه قد أعلن له .. وأنه سيبنى الكنيسة وأن ما يحله فى الأرض أو ما يربطه يكون كذلك فى السماء ؟ وسبق أن قلنا إن انفراد متى ـــ دون مرقس وغـــيره فى رواية التفاصيل يبعث على التشكيك فيها .. ويضاف إلى هذا تلك الشهادة التى شهدها المسيح على بطرس .

الخلاصـــة : أن شخصية المسيح كانت موضع جدل فى حياته وقد رأينا كيف أن إنجيل متى قد حاول أن يكيف هذا الجدل بما يتفق مع القـــول بأن المسيح إله أو ابن إله ، وقد جاء هذا التكييف يعوزه الاتساق المنطقى ورأينا أنه غير قاطع الدلالة عقلا أو نقلا ، وقد أخذت به الكنيسة على علاته استنادا إلى ما تفرضه على أتباعها من تقبل تعليماتها دون نظر أو تمحيص وآن لنا أن ننتقل إلى عرض أقوال إنجيل برنابا فى هذا الشأن لتتم الحلقة ..

ثانياً ـــ فى انجيـــل برنابا :

وانصرف يســـوع من أورشليم بعد الفصح ، ودخل حدود قيصرية فيلبس .. فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذى نجم بين العامة قائلا : ماذا يقول الناس عنى ؟

أجابوا : يقول البعض انك ايليا وآخرون ارميا وآخرون أحد الأنبياء ..

اجاب يسوع : وما قولكم انتم فى ؟

أجاب بطرس :

انك المسيح ابن الله فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : اذهب وانصرف عنى لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسىء الى ..

ثم هدد الأحد عشر قائلا :

« ويل لكم اذا صدقتم هذا لأنى ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا » ..

وأراد أن يطرد بطرس . فتضرع حينئذ الأحد عشر إلى يسوع لأجله فلم يطرده ولكنه انتهره أيضا قائلا « حذار أن تقول مثل هذا الكلام مرة أخرى لأن الله يلعنك » .

فبكى بطرس وقال يا سيد لقد تكلمت بغباوة فاضرع إلى الله أن يغفر لى .

ثم قال يسوع : إذا كان إلهنا لم يرد أن يظهر نفسه لموسى عبده ولا لإيليا الذى أحبه كثيراً ولا لنبى ما .. أتظنون أن الله يظهر نفسه لهذا الجيل الفاقد الإيمان ؟ ألا تعلمون أن الله قد خلق بكلمة واحدة كل شىء من العدم ؟ وأن منشأ البشر جميعهم من كتلة طين ؟

فكيف ــ إذن ــ يكون الله شبيها بالإنسان ؟ . ويل للذين يدعون الشيطان يخدعهم » [1] .

والحقيقة أن برنابا عرض للقضية بصورة عجزت عنها الأناجيل الثلاثة التى ألمحت إليها .. فكافة الأناجيل ذكرت أن المسيح (حذرهم أو انتهرهم) حتى لا يقولوا لأحد عنه .. ولكنها لم تلمع إلى السبب الذى حدث لأجله هذا الانتهار والغضب من المسيح على قائل هذا القول .. ولقد أعطى القديس برنابا تلك الحلقة المفقودة ــ فى روايته للموقف رواية أقرب إلى منطقية الأحداث .. وأصدق تعبيراً عن حقيقة الديانة والرسالة .. ورغم وضوح هذه الرواية للقارىء إلا أننا نشير إلى بعض الملاحظات التى نراها مفيدة :

١ ــ أن رواية برنابا وضحت أن سؤال المسيح لحوارييه جاء بناء على

---

(١) انجيل برنابا ص ١٠٧ ، ١٠٨

وحى من الله تعالى « إذ قال له الملاك جبريل ذلك » وهذا الأساس لم تشر إليه الأناجيل الأخرى .. وهذا يدل على أن رواية برنابا أكثر دقة .. فلم يأت السؤال مبتوراً كما جاء فى رواية متى مثلا ..

٢ ــ أن سؤال المسيح لتلاميذه تم ــ كما تجمع الروايات ــ فى نواحى قيصرية فيلبس مما يجزم بأن سؤال المسيح فى هذا المكان بالذات كان لدافع خفى إذ جاءه الوحى ينذره باختلاف الناس فيه .

٣ ــ توجه رواية برنابا اللوم (الانتهار) إلى بطرس مباشرة عقب ماقاله « وانتهره بغضب » واتهمه بأنه يريد الإساءة إليه وهذا هو الطبيعى والمعقول ، ولهذا فإن تعميم متى وغيره اللوم على جميع التلاميذ لا مبرر له إذ جاء فى نهاية رواياتهم (فانتهرهم) وهم لم يقولوا شيئا من ذلك ..

٤ ــ اتجه المسيح إلى التلاميذ محذرا ومهددا أن يصدقوا مثل هذا الكلام حذرهم من اللعنة الإلهية التى تحيق بكل من يقول ذلك .

٥ ــ أراد المسيح أن يطرد بطرس ولكن التلاميذ الأحد عشر توسطوا له .. فلم يطرده بل كرر تحذيره .

٦ ــ تسوق رواية برنابا ندم بطرس على ما قاله .. وهو ما لم تفعله الأناجيل الأخرى رغم اعترافها بانتهار المسيح وزجره لمن يقول ذلك .

٧ ــ يقدم المسيح ــ حسب رواية إنجيل برنابا ــ شرحا لإنسانيته .. وأنه عبد رسول فإن الله تعالى لو صح ظهوره لأحد لكان الأنبياء أولى الناس بأن يظهر لهم .. أما وقد ثبت أنه لم يظهر لهم فلا يعقل أن يظهر لمن هم دونهم لأنهم حينئذ ليسوا كالأنبياء فهماً عن الله تعالى .

وهكذا نرى أن إنجيل برنابا اتفق مع الأناجيل (متى ــ مرقص ــ لوقا) فى رواية رفض المسيح للقول بأنه ابن الله كما يتفق معها فى أن المسيح بدأ بالسؤال كى يقوم بالرد على زعم الزاغمين .. ولكن شتان ما بين رواية برنابا وصراحتها ووضوحها وروايات غيره وما فيها .

* * *

تحذير المسيح من العثرة فيه

ممّا عرضناه يتبين لنا أن المسيح عليه السلام قد عرف اختلاف الناس فى ماهيته وحقيقته ، وقد رد عليهم بما يفيد أنه بشر لا أكثر من ذلك .. وأنه عبد الله ورسوله .. وقد أفادت رواية مرقس ولوقا أنه المسيح (أو مسيح الله) وهما فى هذا يتفقان مع روح ما رواه برنابا .. ورأينا أن هذا الاتفاق يدلل على صحة الواقعة ويبين الاختلاف الذى رأيناه فى رواية متى كيف أن متى لم يوفق إلى الرواية الصحيحة والدقيقة للموقف .

وحينما نستعرض صفحات الأناجيل الخمسة (الأربعة المعروفة عند النصارى ومعها إنجيل برنابا) نجد أن المسيح عليه السلام قد حذر أتباعه من أن يعثروا فيه فتصيبهم اللعنة ونسوق الرواية التى تفيد ذلك فى كل من متى ولوقا .. ثم نذكرها كما وردت فى برنابا ..

« أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذه . وقال له انت هو الآتى أم ننتظر آخر . فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون . وطوبى لمن لا يعثر فى » .. [متى ١١ : ٣ : ٦]

أما رواية لوقا فلا تكاد تختلف عما أورده متى إلا فى قليل لا يؤثر على المضمون (راجع لوقا ٧ : ١٨ : ٢٣) ولذا فقد اكتفينا بما أورده متى لنسوق بعض ملاحظاتنا التى تنسحب على كلتا الروايتين .

١ ــ أن يوحنا قد سمع بأعمال المسيح عليه السلام فأرسل من يستجلى له الأمر ولم يكن يوحنا يدرى حتى ذلك الوقت حقيقة المسيح كما توضح هذه الرواية .. كما أن المسيح عليه السلام لم يخبر التلميذين بشيء عن نفسه بل وجه أنظارهما إلى أفعاله ومعجزاته .

٢ ــ لعل هدف المسيح عليه السلام أن يبين لتلاميذ ســـيدنا يحيى ابن زكريا (يوحنا المعمدان) أن هذه المعجزات سلاح ذو حدين فهى دعوة صريحة للإيمان بقدرة الله الذى أرسل المسيح عليه السلام وأجرى على يديه هذه المعجزات ، ولكنها فى ذات الوقت تحمل مخاطر إذ قد يضل من يراها ويتعثر فكره فلا يفهمها حق فهمها فيزعم أن المسيح ليس بشراً عاديا .. وهنا تكون الكارثة .

٣ ــ ولهذا كان المسيح حريصا على أن يوضح لكل الناس أنه ــ مع هذه المعجزات يجب ألا يعثر فيه (أى يسقط ويقع ويضل) أحد .. « وطوبى لمن لا يعثر فى المسيح » .. ولو كان المسيح يعرف عن نفسه أنه إله أو ابن إله .. لما ذكر لهم العثرة فيه وحذرهم منهـا والعثرة تكون بافتراض غـير الحقيقة ، وحقيقة المسيح التى رآها تلاميذ يوحنا .. بل وتلاميـذ المسيح نفسه أنه بشر يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ..

وحينما نسـتعرض رواية برنابا نجد الحديث فى هذه القضية مختلفـا عنه فى باقى الأناجيل إذ نراه حديثا صريحا عن أن المسيح عبد رسـول .. بشر ، ويستنزل اللعنة على من يدخل على أقواله أنه ابن الله ..

عقب الحديث عن الآخرة .. « صفع (يسوع) وجهـه بكلتا يديه . ثم ضرب الأرض برأسه ، ولما رفع رأسه قال : « ليكن ملعونا كل من يدرج فى أقوالى أنى ابن الله فسقط التلاميذ عند هذه الكلمات كأموات . فأنهضهم يسوع قائلا :

« لنخف الله الآن اذا أردنا أن لا نزاع فى ذلك اليوم » (١) ..

ولعلنا نلاحظ هلع المسيح عليه السلام من هول هذا اليوم وهو اليوم الآخر .. وسجوده لله تعالى .. « ثم ضرب الأرض برأسه » أى خر ساجداً لله الواحد .. ثم استنزل اللعنة على كل من يكذب عليه ويقول عنه ــ زوراً ــ إنه ابن الله .

---

(١) انجيل برنابا ص ٨٤ ويقصد بذلك اليوم : اليوم الآخر ..

ونرى المسيح يعلن للناس عن حقيقته حتى لا يعتر أحد فيه فيجيب على رئيس الكهنة حينما قال له « قف يا يسوع لأنه يجب علينـــا أن نعرف من أنت تسكينا لأمتنا » .

أجاب يسوع : أنا يسوع بن مريم من نسل داوود بشر مائت ويخاف الله، وأطلب ألا يعطى الإكرام والمجد إلا لله » (٢) .

ويعلن الحقيقة أيضا أمام اليهودية وقال : « إنكم لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون لأنكم دعوتمونى إلهكم وأنا إنسان ، وإنى أخشى أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديداً مسلما إياها لاستعباد الغرباء ، لعن الشيطان الذى أغراكم بهذا ألف لعنة » .. ثم يقول لهم : « أشهد أمام الســــماء وأشهد كل شيء على الأرض أنى برىء من كل ما قد قلتم . لأنى إنســــان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله . مكابد شقاء الأكل والمنام لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامى كحسام يحترق كل من يؤمن بأنى أعظم من إنسان » (٣) .

ويزداد الأمر وضوحا عندما يروى برنابا أن العشرة فى المسيح ستمتد وتشمل كثيرين رغم توضيحه الأمر لكل الناس ويروى قول المسيح الذى تنبأ فيه بذلك :

ولكن عندما يأخذنى الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هـــذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقــاد بأنى الله وابن الله . فيتنجس بسبب هذا كلامى وتعليمى حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا ، حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسولة الذى خلق كل الأشياء لأجله . الذى سيأتى من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام . وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر . وسيأتى برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به . وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا » (٤) .

---

(٢) برنابا ص ١٤٦

(٣) برنابا ص ١٤١ ، ١٤٢

(٤) برنابا ص ١٤٧

وإذا كان لنا أنه نبدى تعليقا فإننا نقول إن الرواية جاءت فى متى مجملة « طوبى لمن لا يعثر فى » ولكن الرواية فى برنابا جاءت واضحة الدلالة موفية بالغرض الذى ألمحت إليـه عبـارة متى ولوقا . وكان من الطبيعى أن تغفل الأناجيل الأربعة ما ذكره برنابا .. وذلك تمشيا مع مفهومها فى المسيح وزعمها أنه إله أو ابن إله . ومع ذلك فلم تستطع أن تتغاضى عن تحذير المسيح من العثرة فيه ـ إذ ساقتها فى صورة لا تظهر إلا للدارس المحقق .

* * *

احساس المسيح بالتدبير لقتله

كان اليهود حريصين على تتبع سقطات المسيح عليه السلام ــ إن كانت له سقطات ــ حتى يتخلصوا منه .. ولذلك فقد كانوا يستدرجونه أحيانا فى الأسئلة ليوقعوا بينه وبين الحاكم .. وذلك حينما سألوه عن الضريبة التى يدفعونها فقال لهم « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .. وتعددت محاولات اليهود للتخلص من المسيح عليه السلام ، وأحس المسيح بذلك وأخبر حوارييه بما ينويه اليهود ..

ونجد هذا الإحساس واحداً فى الأناجيل الخمسة .. ونقتطف بعض عبارات من الأناجيل الأربعة تدل على أن المسيح أحس بأن هناك محاولات للقضاء عليه :

يذكر مرقس (٩ : ٣٠ ــ ٣٢)

« وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد . لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم ان ابن الانسان يسلم الى أيدى الناس فيقتلونه وبعد أن يقتل يقوم فى اليوم الثالث . وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه » ..

يذكر لوقا (٩ : ٤٣ ــ ٤٥)

« واذ كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل يسوع قال لتلاميذه . ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم . أن ابن الانسان سوف يسلم الى أيدى الناس . وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مخفى عنهم لكى لا يفهموه . وخافوا أن يسألوه عن هذا القول » ..

وارى أن من واجبنا التعليق على هاتين الفقرتين إذ اتفقت الروايتان على النقاط الآتية :

● أن هناك محاولات لتسليم (ابن الإنسان إلى أيدى الناس)

● اتفقت الروايتان على أن الكلام عن محاولات التسليم قد سيق فى إطار غامض لم يفهمه الحاضرون ..

● كما اتفقت الروايتان على أن الجمع قد ساورهم الخوف والإضطراب حتى خشى الجمع أن يسألوه .

ومن هذا الاتفاق نستطيع أن نستنتج مغزى نقاط الاختلاف :

● فقد زعمت رواية مرقس أنه سيقتل .. وهذا الزعم لا مبرر له فى جو الخوف والغموض إلا أن يكون نتيجة للاضطراب الذى ساد النفوس ... وهذا يدل على أنه استنباط أو اجتهاد لا يمثل سوى ما يجرى فى فكر صاحبه ولا يمنع هذا الافتراض أن متى يروى حكاية القتل .. بل ربما تكون رواية متى لهذا الافتراض أقرب إلى التدليل على أنه افتراض شخصى فقد تحدث متى عن أن ابن الإنسان سوف يقتل ثم يقوم بعد ثلاثة أيام .. فحزنوا لذلك .. ولو كان الأمر حقيقة لما حزنوا .. بل كان لهم أن يفرحوا إذ إنه سيقوم .. وذلك مما يدل على أن الافتراض شخصى .. أملاه الخوف والحزن والاضطراب فى الموقف .

أما عن إحساس المسيح بمحاولات التخلص منه فى إنجيل برنابا فنقتبس الفقرة التاليـة :

يذكر برنابا [1] « أما يسوع فوجده الذى يكتب ويعقوب ويوحنا . فقالوا وهم باكون « يامعلم لماذا هربت منا . فلقد طلبناك ونحن حزانى بل إن التلاميذ كلهم طلبوك باكين . فأجاب يسوع : إنما هربت لأنى علمت أن جيشاً من الشياطين يهيىء لى ما سترونه بعد برهة وجيزة . فسيقوم علىَّ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وسيطلبون أمرا من الحاكم الرومانى بقتلى لأنهم يخافون أن أغتصب ملك إسرائيل .. » وعلاوة على هذا فإن واحدا من تلاميذى يبيعنى ويسلمنى كما بيع يوسف إلى مصر . ولكن الله العادل

---

(١) ص ٢١٣

سيوثقه كما يقول النبى داود : من نصب فخا لأخيه وقع فيه . ولكن الله سيخلصنى من أيديهم وسينقلنى من العالم » .

ورواية برنابا كما نرى تستبعد كافة الافتراضات التى سيقت لتبرير تسليم المسيح .. وقدمت التبرير المنطقى الذى يتناسب مع طبيعة اليهود الذين يطاردون المسيح فالكهنة وشيوخ الشعب يخشون على سلطانهم ويخافون أن يغتصب المسيح ملك إسرائيل فيقطع عنهم أسباب الرفاهية والجاه .. ثم يشفع الإحساس نبوءة الخلاص من أيديهم .. وهو ما يتناسب مع طبيعة شخصية المسيح الذى جاء بمعجزات شفاء المرضى وإحياء بعض الأموات وإطعام الجائعين .. وولد من أنثى بلا ذكر فيكون خلاصه من الموت إعجازا يدل على تأكيد بشريته ونبوته ..



تنبؤات المسيح بنجاته [1]

من المستحسن أن نشير هنا إلى النبوءات التى وردت فىالعهد القديم (التوراة) عن نجاة المسيح عليه السلام من المؤامرة على حياته .. وكثير من المسيحيين يعتبر ما جاء فى كثير من فقرات العهد القديم نبوءة عن المسيح عليه السلام فإذا جاز أن نأخذ بوجهة نظر هؤلاء .. فإننا سنرى أن هـذه النبوءات يمكن أن تكون فعلا عن المسيح الذى طارده أعداؤه وحاولوا قتله والتخلص منه ولكنهم فشلوا فى ذلك .. وصلبوا شبيه المسيح [2] وقـد تناولت هذا الموضوع كتب كثيرة ويكفينا هنا بعض الإشارات التى تخدم موضوعنا للدلالة على الحقيقة التى لمسناها فى أكثر من موضع ألا وهى أن إنجيل برنابا حين يتحدث فى صراحة ووضوح عن نجاة المسيح عليه السلام .. ووقوع يهوذا فى الحفرة التى صنعها فإن هذا ليس بدعا فى إنجيل برنابا .. بل هو تفسير لما جاء فى ثنايا باقى الأناجيل ..

ونقرأ فى المزمور ٩١ :

« الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت . أقول للرب ملجئى وحصنى الهى فأتكل عليه لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوبا الخطر . نجوا فيـه يظلك ، وتحت أجنحته تحتمى .

ترس ومجن حقه . لا تخش من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار .. ولا من وباء يسلك فى الدجى . ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة .

لأنك قلت : أنت يارب ملجئى جعلت العلى مسكنك لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .

---

(١) انظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية . احمد عبد الوهاب ص ٢٠٧ وما بعدها وانظر : برنابا .

(٢) راجع فى ذلك تفصيلا « دعوة الحق » للقاضى منصور حسين ط ٢ مكتبة علاء الدين سنة ١٩٧٢

لأنه يوصى ملائكتــه بك لكى يحفظوك فى كل طرقك على الأيــدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك على الأسد والصل تطأ ، الشبل والثعبان تدوس .

لأنه تعلق بى أنجيه أرفعه لأنه عرف اسمى يدعونى فاستجيب له . معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى » .

والعبارات واضحة الدلالة فى النبوءة بالخلاص ، وبطول الحياة « من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى » .. وليس فى المجال متسع للحديث عــن نبوءات العهد القديم بتفصيل إذ ليس هذا هدفنا ، وإنما أحببنا أن يتهيــأ ذهن القارىء ليصل الى الحقيقة الواضحة بنفسه ..

والآن إلى إشارات الأناجيل الأربعة الى خلاص المسيح عليه الســلام ونبوءاته فى ذلك ..

يذكر يوحنا ٧ : ٣٢ ــ ٣٤ حدث ذات مرة فى إحدى محاولات الإمساك به ان « أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمســكوه فقــال لهــم يسوع :

« انا معكم زمانا يسيراً بعد ، ثم امضى الى الذى أرسلنى . ستطلبوننى ولا تجدوننى ، حيث أكون انا لا تقدرون انتم ان تأتوا » ..

وهذا الكلام فى غاية الوضوح ..

ــ فالمسيح تنبأ عن رفعه « أمضى إلى الذى أرسلنى » .

ــ سيحاولون القبض عليه ولن يجدوه .

ــ سيذهب إلى مكان لا يمكنهم الوصول إليه فيه « حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » وفعلا : فهم لا يستطيعون الصعود إلى السماء خلفه ..

وفى يوحنا ٨ : ٢١ ــ ٢٩ « قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيئتكم حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا فقال اليهود ألعله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ؟

إلى أن يقول : « والذى أرسلنى هو معنى ولم يتركنى الأب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه » .

وفى ذلك تأكيد للنبوءة السابقة : وقد أضاف إليها ما يقطع بأنها فعلا نبوءة النجاة .. ذلك أنه قال حسب هذه الرواية « الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى » .. فإذا ما تذكرنا ما زعمه الرواة من صرخة المصلوب أنه قال « إيلى .. إيلى .. لم شبقتنى .. أى إلهى .. إلهى لم تركتنى ؟ » :

ففى الرواية المنسوبة للمسيح يقول إن الذى أرسله لم يتركه .. والمصلوب يعترف أن الله تركه فهما إذن شخصان مختلفان .. شخص مكرم على الله .. نجاه .. وخلصه .. وهو المسيح عليه السلام وآخر قد مقته الله وأبغضه وتركه وهو المصلوب « يهوذا » .. على ما تروى الروايات فإذا انتقلنا إلى رواية برنابا وجدنا الرواية واضحة والنبوءة جلية تؤيد ما جاءت به روايات يوحنا وتؤكد ما ورد من إشارات المزامير فى العهد القديم.

● تبدأ الرواية فى برنابا بالحديث عن الشيطان :

سأل بطرس يسوع « يا معلم لقد تركنا كل شىء لنتبعك فما مصيرنا ؟ أجاب يسوع : إنكم لتجلسون يوم الدينونة بجانبى لتشهدوا على أسباط إسرائيل الاثنى عشر » .

ولما قال يسوع ذلك تنهد قائلا : يارب ما هذا ؟ إنى قد اخترت اثنى عشر فكان واحد منهم شيطانا ... (٣)

وهكذا نجد هذه اللمحة الذكية إلى أن فى التلاميذ شخصا غير نقى حتى إن برنابا فزع وخشى أن يكون هو المقصود فطمأنه المسيح .

(٣) برنابا ص ٢٤

● ويكاشف المسيح تلميذه برنابا بحقائق يحملها التلميذ أمانة ويأخذ على عاتقه مسئولية إعلانها ...

« وبقي مع يسوع الذى يكتب (برنابا) . فقال يسوع باكيا يا برنابا يجب أن أكاشفك بأسرار عظيمة يجب عليك مكاشفة العالم بها بعد انصرافى منه .

فأجاب الكاتب باكيا وقال : اسمح لى بالبكاء يا معلم ولغيرى أيضـا لأننا خطاة . وأنت يامن هو طاهر ونبى الله لا يحسن بك أن تكثر من البكاء .

أجاب يسوع : صـدقنى يابرنابا إننى لا أقدر أن أبكى قدر ما يجب على . لأنه لولم يدعنى الناس إلهاً لكنت عاينت هنا الله كما يعاين فى الجنة ولكنت أمنت خشية يوم الدين . بيد أن الله يعلم أنى برىء لأنه لم يخطر لى فى بال أن أحسب أكثر من عبد فقير . بل أقول إننى لو لم أدع إلهاً لكنت حملت إلى الجنة عندما أنصرف من العالم أما الآن فلا أذهب إلى هنـاك حتى الدينونة . فترى إذا كان يحق لى البكاء . فاعلم يابرنابا إنه لأجـل هذا يجب على التحفظ ، وسيبيعنى أحد تلاميذى بثلاثين قطعة نقود . وعليه فإنى على يقين من أن من يبيعنى يقتل باسمى . لأن الله يصعدنى من الأرض .. وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياى . ومع ذلك لما يموت شر ميتة أمكث فى ذلك العار زمنا طويلا فى العالم .ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عنى هذه الوصمة . وسيفعل الله هذا لأنى اعترفت بحقيقة مسيا الذى سيعطينى هذا الجزاء أى أن أعرف أنى حى وأنى برىء مـن وصمة تلك الميتة . فأجاب من يكتب ! يامعلم قل لى من هو ذلك التعيس لأنى وددت لو أميته خنقاً .

أجاب يسوع : صه .

((فان الله هكذا يريد فهو لا يقدر أن يفعل غير ذلك . ولكن متى حلت هذه النازلة بأمى فقل لها الحق لكى تتعزى)) (٤) ..

---

(٤) برنابا ص ١٧٠ ، ١٧١

ويؤكد المسيح عليه السلام أن المصلوب شخص آخر فيقول :

« عسانى أن أنال من الله قصاصا فى هذا العالم لأنى لم أخدمه بإخلاص كما كان يجب على أن أفعل . ولكن الله أحبنى برحمته حتى أن كل عقوبة رفعت عنى بحيث أنى أعذب فى شخص آخر . فانى كنت أهلا للقصاص لأن البشر دعونى الهاً . ولكن لما كنت قد اعترفت له بأنى لست الهاً فقط كما هو الحق بل اعترفت أيضا أنى لست مسيا فقد رفع الله لذلك العقوبة عنى . وسيجعل شريراً يكابدها باسمى حتى لا يبقى منها لى سوى العار (٥) ..

* * *

---

(٥) برنابا ص ٢٩١

الفصل الثالث

شـــخصية يهـــوذا

ممـــا لابد منه أن تتعرض لهـــذه الشخصية العجيبة شخصية يهوذا الأسخريوطى ذلك التلميذ الذى كان من الحواريين ــ أو التلاميذ ــ وإذا به ينقلب فجأة إلى عدو للمسيح .. يرضى بأن يسلمه إلى أعدائه .. ويطلب مقابل ذلك بعض النقود ــ فضية أو ذهبية ــ لا تساوى شيئا .. فى مقابل المبدأ الذى تخلى عنه يهوذا ..

ولم تتعرض الأناجيل الأربعة بالقدر الكافى لشـــخصية هـــذا التلميذ العاق .. فقد مرت عليـــه مرور الكرام .. لا تلقى له بالا .. إلا لمجرد ذكر اسمه .. أو نهايته .. أو ذهابه إلى الكهنة يعرض عليهم أن يسلمهم المسيح ..

● يتحدث المسيح عليه السلام عن واحد من التلاميذ سيسلمه ويحزن التلاميذ إلا أنه « أجاب وقال لهم هو واحد من الإثنى عشر الذى يغمس معى فى الصفحة .. ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنســـان كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد .. » .

مرقس ١٤ : ١٦ ــ ٢١

● .. « أجاب يسوع هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه .. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى » .

● يقـــرر لوقا (٢٢ : ٣) أن الشـــيطان دخل يهـــوذا قبل العشاء .. إذ قد خرج بعد ذلك ليتآمر مع رؤساء الكهنة ..

● أما يوحنا فيقرر أن الشيطان قد دخل يهوذا بعد أن أعطاه يسوع اللقمة (١٣ : ٢٧) أثناء العشاء .. وهكذا نرى أن الروايات اختلفت .. هل غمس يهوذا اللقمة كما فى الرواية الأولى ؟ أم أن المسيح هــو الذى غمسها وأعطاها ليهوذا كما فى الرواية الثانية ؟ ..

كما نرى الاختلاف فى دخول الشيطان جسم يهوذا هل حدث قبــل العشاء أم بعده ؟

نهاية يهوذا فى الأناجيل الأربعة :

يذكر متى

« حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : قد أخطأت اذ سلمت دماً بريئاً . فقالوا ماذا علينا أنت أبصر . فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف . ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن يلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم الى هذا اليوم » .. [٢٧ : ٣ ـ ١٠]

ويذكر لوقا فى سفر أعمال الرسل :

« فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم واذ سقط على وجهه انشــق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها .. وصار ذلك معلوما عند جميع ســكان أورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما » .. [١ : ١٥ ـ ٢٠]

إن ما اتفق عليه متى ولوقا ـ وصمت عنه مرقس ويوحنا .. هو ان يهوذا الخائن قد هلك فى ظروف مريبة ، ولكن روايتيهما اختلفت فى ثلاثة عناصر هى :

١ ـ ما يتعلق بكيفية موت يهوذا .. يروى متى أن يهوذا قد انتحر بخنق نفسه بينما يروى لوقا أنه مات ميتة دموية انشق فيها وسطه وانسكبت جميع أحشائه .

٢ ـ يتعلق بمشترى الحقل فيروى متى أن رؤساء الكهنة هم الذين اشتروه بينما يروى لوقا أن يهوذا كان هو المشترى ..

٣ ـ سبب تسمية الحقل باسم (حقل دم) فرواية متى ترجع ذلك لكونه قد اشترى بنقود كانت ثمن بيع دم برىء . بينما يرد لوقا تلك التسمية إلى الميتة الدموية التى ماتها يهوذا إن ما يذكره متى ولوقا عن هلاك يهوذا لا يعنى إلا شيئا واحداً هو أن يهوذا قد اختفى فى فترة الاضطراب التى غشيت أحداث الصلب وملابساته [1] وهو ما سبق أن أيدناه بوقائع أخرى ..

وبعد هذا العرض الخاطف لشخصية يهوذا عند كتاب الأناجيل ننقل معالم شخصية يهوذا كما تحدث عنها برنابا فى روايته وقد رأينا فى نبوءات المسيح عليه السلام وأحاسيسه التى نقلناها حسب رواية برنابا أن يهوذا قد دخله الشيطان مبكرا حيث رأينا تعجب المسيح عليه السلام من أنه اختار اثنى عشر تلميذا فإذا بواحد منهم شيطان [2] ..

● لما رأى يهوذا الخائن أن يسوع قد هرب يئس من أن يصير عظيما فى العالم . لأنه كان يحمل كيس يسوع حيث كان يحفظ فيه كل ما كان يعطى له حبا فى الله . فهو قد رجا أن يصير يسوع ملكا على إسرائيل وأنه هو نفسه يصبح رجلا عزيزا . فلما فقد هذا الرجاء قال فى نفسه . لو كان هـذا الرجل نبيا لعرف أنى أختلس نقوده ولكان حنق على وطردنى من خدمته إذ يعلم أنى لا أومن به . ولو كان حكيما لما هرب من المجـد الذى يريـد الله أن يعطيه إياه . فالأجدر بى إذا أن أتفق مع رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين ونرى كيف أسلمه إلى أيديهم فبهذا أتمكن من تحصيل شىء من النفع فبعد أن عقد النية أخبر الكهنة والفريسيين عما حدث فى نايين [3] .

---

(١) راجع تفصيلا المسيح فى مصادر العقائد المسيحية . مهندس احمد عبد الوهاب ص ١٨٠ وما بعدها .

(٢) برنابا ص ٢٤

(٣) برنابا ص ٢١٧

وهذه الفقرة تشير إلى الدوافع النفسية التى حدت بيهوذا إلى الخيانة .

١ ــ فهو كان الخازن على أموال المسيح .. يجمع الهبات والعطايا ..

٢ ــ كان يتمنى أن يتطور الوضع بالمسيح من مجرد نبى متجول إلى ملك متوج .. وحينئذ يكون ليهوذا مكانة سامية ..

٣ ــ حاول يهوذا أن يقنع نفسه بأن المسيح ليس شيئا .

● فلو كان نبيا لعرف أنه يختلس نقوده .

● ولو كان حكيما ما رفض أن يكون ملكا متوجا ..

٤ ــ وعلى هذا الأساس فلا مانع من تسليمه لرؤساء الكهنة ..

● وفى فقرة أخرى تتضح ملامح شخصية يهوذا أكثر وأكثر .. « وبينما كان يسوع على العشاء مع تلاميذه فى بيت سمعان الأبرص إذا بمريم أخت لعازر قد دخلت البيت . ثم كسرت إناء وسكبت الطيب على رأس يسوع وثوبه . فلما رأى هذا يهوذا الخائن أراد أن يمنع مريم عن القيام بعمل كهذا قائلا : اذهبى وبيعى الطيب وأحضرى النقود لكى أعطيها للفقراء » ..

قال يسوع : لماذا تمنعها ؟ دعها فإن الفقر معكم دائما أما أنا فلست معكم دائما : أجاب يهوذا ! يامعلم كان يمكن أن يباع هذا الطيب بثلاثمائة قطعة من النقود . فانظر إذا كم من فقير يمكن مساعدته به . أجاب يسوع :

يا يهوذا إنى لعارف قلبك فاصبر أعطك الكل .

وحزن التلاميذ لأنهم عرفوا أن يسوع سينصرف عنهم قريبا . ولكن يهوذا حنق لأنه علم أنه خاسر ثلاثين قطعة من النقود لأجل الطيب الذى لم يبع .

لأنه كان يختلس العشر من كل ما كان يعطى ليسوع .. فذهب ليرى رئيس الكهنة » [٤] ..

وهنا نرى اتجاه يهوذا المادى الذى يقيس كل شيء بقطع النقود ، ويحسب لنفسه كم نصيبه فيها ؟ ولقد رضى أن يسلم المسيح مقابل ثلاثين قطعة من النقود هى مقدار نصيبه من الطيب الذى سكبته المرأة على جسم يسوع ..

وقد عرف المسيح حقيقة يهوذا .. إذ إن نيقوديموس قد أرسل الحمل سراً إلى البستان .

وأخبر المسيح وتلاميذه بأوامر هيرودس والوالى ورئيس الكهنة .. وهنا تهلل المسيح وقال :

« تبارك اسمك القدوس يارب لأنك لم تفرزنى من عدد خدمتك الذين اضطهدهم وقتلهم العالم . أشكرك يا الهى لأنك قد أتممت عملك . ثم التفت الى يهوذا وقال له : يا صديقى لماذا تتأخر » ..

إن وقتى قد دنا فاذهب وافعل ما يجب أن تفعله . فظن التلاميذ أن يسوع أرسل يهوذا يشترى شيئا ليوم الفصح . ولكن يسوع عرف أن يهوذا كان على وشك تسليمه . ولذلك قال هكذا لأنه كان يجب الانصراف من العالم .

وقد أكل المسيح من الحمل بعد أن قام فغسل أرجل تلاميذه

« فبعد غسل التلاميذ وجلوسهم على المائدة ليأكلوا قال يسوع : لقد غسلتكم ، ولكن مع ذلك لستم كلكم طاهرين . لأن ماء البحر لا يطهر من لا يصدقنى » ..

قال هذا يسوع لأنه علم من سيسلمه .

« فحزن التلاميذ لهذه الكلمات ..

فقال يسوع أيضا .

---

(٤) برنابا ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

« الحق أقول لكم ان واحداً منكم سيسلمنى فأباع كخروف . ولكن ويل له لأنه سيتم كل ما قال داوود أبونا عنه انه سيسقط فى الهوة التى أعدها للآخرين ، فلما أكل الحمل ركب الشيطان ظهر يهوذا فخرج من البيت ويسوع يقول أيضاً أسرع بفعل ما أنت فاعل .. » (٥) ..

ونرى أن يهوذا قد تحول من تلميذ إلى مطية للشيطان وقد أسرع ليحفر الحفرة التى سيسقط فيها ..

وقد عرضنا لذلك فى موضعه .

* * *

(٥) انظر برنابا ص ٣٠٦ ، ٣٠٧

حقيقــة الصلب

قدمنا بعض الدلائل التى تشــير إلى أن المصــلوب شخص آخر غــير المسيح عليه السلام الذى تنبأ عن نجاته وإفلاته من أيدى المطاردين .. وكانت هذه الدلائل فى المزامير وإنجيل يوحنا وإنجيل برنابا على السواء ..

ولقد كان برنابا فى روايته للأحداث متسقا مع المقدمات والنتائج .. لا تناقض بين مقدمة ونتيجتها .. ولهذا آثرنا أن نبدأ برواية برنابا فى إنجيله .. متبعين ذلك بما يؤيد هذه الرواية من ملابسات الأحداث التى ساقتها الأناجيل الأخرى ..

ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذى كان فيه يسوع مع تلاميذه ذهب رئيس الكهنة . وقال إذا أعطيتنى ما وعدت به أسلم هذه الليلة ليدك يسوع الذى تطلبونه . لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقا .

أجاب رئيس الكهنة كم تطلب ؟ قال يهــوذا ثلاثين قطعــة من الذهب فحينئذ عد له رئيس الكهنة النقود فورا . وأرســل فريســيا إلى الوالى وهيرودس ليحضر جنودا . فأعطياه كتيبة منها لأنهما خافا الشعب . فأخذوا من ثم أسلحتهم وخرجوا من أورشليم بالمشاعل والمصابيح على العصى .

ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع سمع يسوع دنوجم غفير ، فلذلك انسحب إلى البيت خائفا . وكان الأحد عشر نياما . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيــل وأوريــل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم .

فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله إلى الأبد ..

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعد منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياما . فأتى الله العجيب بأمر عجيب . فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبها بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن .

أما هو فقال متبسما : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطى. وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقـوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين » (١) ..

ونسوق هنـا الآن ما نبرهن به على أن رواية برنابا قريبة مـن واقع الأحداث .

● فقد اتفقت كلمة الأناجيل على تأكيد شـك التلاميذ ولنقرأ بعض هذه الروايات بتمعن :

١ ـ حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فىَّ فى هذه الليلة .

(متى ٢٦ : ٣١)

(مرقس ١٤ : ٢٧)

وهذه العبارة صريحة فى أن الأمر ليس عاديا .. بل ستحدث معجزة إلقاء الشبه على يهوذا بدل المسيح كما ذكر برنابا .. وإلا فبماذا نفسر هذا الشك الجماعى إلا أن يكون هناك أمر إعجازى سيحدث ؟ والمعجزة لا تكون بالقبض على المسيح وصلبه .. ولوكان كذلك لما كان هناك أى داع للشك . بل كان الأوجب أن يتيقظ التلاميذ ليشاهدوا ربهم مصلوبا كما زعم الزاعمون أما الشك الذى سيطر على التلاميذ فهو دليل على أن فى المسألة شبهة ..

---

(١) برنابا ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ . وراجع : خواطر مسلم حول الأناجيل والاقليات . محمـد جلال كشك .

وأن العناية الإلهية تدخلت — فى لحظات — ليرتفع المسيح .. وتتغير سحنة يهوذا فيحل محل المطلوب .. ويقع فى الحفرة التى حفرها ..

٢ — « قال له سمعان بطرس يا سيد الى أين تذهب ؟ أجابه يسوع حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعنى ولكنك ستتبعنى أخيرا . قال له بطرس يا سيد لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن ؟ انى أضع نفسى عنك أجابه يسوع : أتضع نفسك عنى ؟ الحق .. الحق أقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرنى ثلاث مرات » ..

(يوحنا ١٣ : ٣٦ — ٣٠)

وهذه العبارات — إن صحت — لها مغزى هام فى موضوعنا :

● فالمسيح يجيب بطرس بأنه لا يستطيع أن يتبعه إلى المكان الذى سيذهب إليه .. فهو مكان يصعب الوصول إليه ..

● ويزداد توضيح نوعية المكان وأنه ليس على الأرض بل فى السماء حيث رفع عيسى عليه السلام .. وذلك حينما قال له « ولكنك ستتبعنى أخيراً » وهذا ليس معناه اتباعه عند صلبه المزعوم بل اللحاق به فى الدار الآخرة .. ولو أن المراد اتباع المصلوب وهم يأخذونه إلى الصلب فهذا لا خصوصية فيه لبطرس .. فقد خرج الغوغاء جميعا خلف المقبوض عليه .. وهذا يدل على أن المسيح يريد أن بطرس سيتبعه فى الآخرة ..

٣ — تكاد تتفق كلمة الأناجيل (متى ومرقس ولوقا) على أن التلاميذ الأحد عشر أصيبوا بحالة من الكسل الجسمى والذهنى ، وقد ألقى عليهم النعاس حتى إنهم لم يشعروا بالمسيح وقد قام للصلاة أكثر من مرة ودخل عليهم بعد كل مرة يناشدهم أن يسهروا معه « فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة » ؟

ثم جاء مرة ثانية « ووجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه » .

(مرقس ١٤ : ٤٠)

وفى المرة الثالثة

« قال لهم ناموا الآن واستريحوا هو ذا الساعة قد اقتربت » .. [متى ٢٦ : ٤٥ — مرقس ١٤ : ٤١] ..

وقد حدث كل هذا فى البستان الذى قيل إن المسيح قد قبض عليه فيه .

بل وقبل لحظات من الهجوم عليه ..

وهذه ملابسات تؤكد أن لحظة محاولة القبض على المسيح كانت لحظة غير عادية حدثت فيها أمور لم يتنبه لها أحد من المقربين إلى المسيح عليه السلام .

٤ — فى لحظة الهجوم .. واللغط .. تحدث أمور ويتحدث المقبوض عليه .. ولكن التلاميذ يتركونه ويهربون : يقول متى :

« حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » ..[٢٦ : ٥٦] ..

ويذكر مرقس نفس الأمر (١٤:٤٩) « فتركه الجميع وهربوا » ولا مبرر لهروب التلاميذ إلا أن تكون رواية برنابا صحيحة حيث فوجىء التلاميذ بشخص يبحث عن المسيح .. ويندهش التلاميذ حين يظنون أن المسيح يبحث عن نفسه وذلك لشدة الشبه .. وحينما يقولون له أنت المسيح .. يتعجب يهوذا ويتهمهم بالغباء لأنهم لم يعرفوا شخصية تلميذ من التلاميذ (يهوذا) ويزعمون أنه المسيح .. وهنا لم يتمالك التلاميذ أنفسهم فهربوا إذ لم يحتمل إدراكهم ذلك .. فهربوا من الموقف برمته .

٥ — وإذا كان التلاميذ قد هربوا وتركوا هذا الشخص الذى اختلطت عليهم هويته .. فالشبه شبه المسيح والكلام كلام يهوذا .... فإن رواية يوحنا تقدم لنا لقطة عامة من الموقف المضطرب والارتباك الذى ساد الحشود فى لحظة القبض على يهوذا .. وإن لم يصرح بأن يهوذا هو المقبوض عليه إلا أن ما ساقه يؤكد أن الذى قبض عليه شخص آخر ..

« فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء

إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون ؟ . أجابوه : يسوع النـــاصرى قال لهم يسوع : أنا هـــو ..

وكان يهوذا ــ مسلمه ــ أيضا واقفاً معهم فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض . فسالهم أيضاً من تطلبون فقالوا يســـوع الناصرى . أجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو فان كنتم تطلبوننى فدعـــوا هؤلاء يذهبون » ..

[يو ١٨ : ٤ ــ ٨]

والذى ينظر نظرة سطحية إلى رواية يوحنا قد يذهب به الخيـــال إلى أن وقوع الجنود وهياجهم أكثر من مرة كان من هيبة المسيح أو ما إلى ذلك .. ولكن النظرة المستأنية تجعلنا نصل من هذه الرواية إلى ما يأتى :

● أن الجنود .. والخدام ذهبوا ليلا وفى أيديهم الشموع (المشاعل والمصابيح) مما يشيع جوا من الغموض على الأحداث التى وقعت فى هذه اللحظات ويدفع إلى الاعتقاد بأن أى خطأ يمكن أن يحدث دون أن يظهر للمخطىء أنه أخطأ .. وهذا أكثر وقوعا من ذلك الحشد الكبير ..

● أن الســؤال من تطلبــون ؟ الذى وجهــه إلى اليهــود لم يكن موجها من المسيح حقيقة بل كان موجهــاً إلى الجنــود من يهــوذا الذى اشتبه عليهم أنه المسيح وذلك عندما وضعوا أيديهم عليه ليأخذوه فذكــر لهــم أنهــم لا يطلبــون القبض عليــه بل على المســيح أما هو فيهــوذا الذى دلهم وقادهم .. وهذا قد أدى إلى ارتباك الجنود والخــدم الذين أسرعوا للإمســاك بالمسيح ظنا منهم أنه هرب من أى اتجاه .. مما يفسر هذا الوقوع المفاجىء للجنود نتيجة لإسراعهم فى كل اتجاه .. مما أدى إلى وقوع الكثيرين منهم ..

● لقد وقع الجنود ــ مرتين ــ كما فى رواية يوحنا وهذا يؤيد أنهم كانوا فى حيرة من أمرهم .. فقد جاء معهم شخص يقودهم .. والدنيا ليل وحينما اقتربوا منه فوجئوا به يقول إنه ليس المسيح بل هو الذى دلهم على

مكانه وأغلب الظن أن الجنود بحثوا عن (يهوذا) كذلك كما بحثوا عن المسيح ليتحققوا من الأمر ــ فلم يجدوا إلا واحداً هو الذى أمسكوه أخيرا .. ولما لم يهتدوا سكنوا أخيرا وقبضوا على من وقع فى أيديهم .. ولم ينصتوا إلى مزاعمه من أنه ليس المسيح .. لأنه كان لابد من العودة بشخص ما وخصوصا إذا ألقى عليه شبه المسيح ..

وهكذا نرى أن رواية برنابا واضحة وصريحة فى هذه النقطة .. ولكنه لم يأت بأمر ما من عند نفسه بل جاء بما ألمحت إليه الأناجيل الأربعة ، ولم تستطع أن تخفيه وإن كان كتابها قد فسروها تفسيراً يتفق مع اتجاهاتهم ..



الفصل الرابع

الختـــــان

هذه القضية مما تفرد به إنجيل برنابا ، وقد أفاض فى الحديث عنهـا إفاضة جعلتنا نفرد لها هذا الفصل .. ولقد أخطأ بولس خطأ فادحا حينما أقر الوثنيين على عادتهم من رفض الختان ، ورأى أنه لا داعى لإزعاجهم بذلك ، وكان بولس مخالفا لصريح الناموس الذى جاء به العهد القديم .. ولا يجدى فى ذلك ما ساقه بولس وأشياعه من تبريرات غير محدودة .. وكما رأينا فقد خالف بولس كل أساسيات الناموس تقريبا .. وخرج بإطار فريد لديانة لم تأت مثلها ديانة على امتداد تاريخ الرسالات ..

وسنسوق هنا رواية إنجيل برنابا عن الختان وضرورته وهو مالم نجد له نظيراً فى الأناجيل الأربعة ..

يمهد الإنجيل للحديث عن الختان برواية هذا الحديث الذى جاءت فيه امرأة إلى يسوع وقالت له

« يا يسوع ابن داوود ارحمنى أجاب يسوع : لا يحسن أن يؤخذ الخبـز من أيدى الأطفال ويطرح للكلاب .. وانما قال يسـوع هـذا لنجاستهم لأنهم كانوا من غير أهل الختان » ..

وبعد ذلك يفرد الانجيل فصلا كاملا وبعض الفصل للحديث عن الختـان وضرورته وأهميته (١) ..

---

(١) برنابا ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

« فسأل التلاميذ يسوع فى ذلك النهار قائلين : يامعلم لماذا أجبت المرأة بهذا الجواب قائلا إنهم كلاب ؟ أجاب يسوع : إذا لاحظتم أيها الجهال ما يفعل الكلب الذى لا عقل له لخدمة صاحبه علمتم أن كلامى صادق . قولوا لى : أيحرس الكلب بيت صاحبه ويعرض نفسه للص ؟

نعم ولكن ما جزاؤه ؟ ضرب كثير وأذى ، مع قليل من الخبز ، وهو يظهر لصاحبه وجها مسرورا . أصحيح هذا ؟

فأجاب التلاميذ : إنه لصحيح يامعلم .

حينئذ قال يسوع : تأملوا إذاً ما أعظم ما وهب الله الإنسان فتروا إذاً ما أكفره لعدم وفائه بعهد الله مع عبده إبراهيم . اذكروا ما قاله داوود لشاؤل ملك إسرائيل ضد جليات الفلسطينى قال داوود : يا سيدى بينما كان يرعى عبدك قطيعه جاء ذئب ودب وأسد وانقضت على غنم عبدك . فجاء عبدك وقتلها وأنقذ الغنم . وما هذا الأغلف [1] إلا كواحد منها . لذلك يذهب عبدك باسم الرب إله إسرائيل ويقتل هذا النجس الذى يجدف على شعب الله الطاهر . حينئذ قال التلاميذ : قل لنا يا معلم لأى سبب يجب على الإنسان الختان ؟ .

فأجاب يسوع : يكفيكم أن الله أمر به إبراهيم قائلا : يا ابراهيم اقطع غرلتك وغرلة كل بنيك لأن هذا عهد بينى وبينك إلى الأبد » .

ولما قال ذلك يسوع جلس قريبا من الجبل الذى كانوا يشرفون عليه . فجاء تلاميذه إلى جانبه ليصغوا إلى كلامه . حينئذ قال يسوع « إنه لما أكل آدم الإنسان الأول الطعام الذى نهاه الله عنه فى الفردوس مخدوعا من الشيطان عصى جسده الروح فأقسم قائلا : تالله لأقطعنك . فكسر شظية من

---

(٢) الاغلف الذى لم يختتن ، واما جليات فلعله الطاغية الذى سماه القرآن باسم جالوت .. وقد قتله طالوت ..

صخر وأمسك جسده ليقطعه بحد الشظية . فوبخه الملاك جبريل على ذلك فأجاب لقد أقسمت بالله أن أقطعه فلا أكون حانثا » .

حينئذ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها .. فتسلسلت سنة الختان من جيل إلى جيل .. وعليه فقد أخبر الله إبراهيم بحقيقة الختان وأثبت هـــذا العهد قائلا « النفس التى لا تختن جسدها إياها أبدد من بين شعبى إلى الأبد » [٣] .

* * *

---

(٣) أطال بولس فى الرسائل فى تبرير ترك الختان واستعاض عن الختان المعهود بما سماه ختان القلب .. والأذن .. كل ذلك ارضاء للوثنيين .

الباب الرابع

من قضايا الايمان

من أخطر القضايا التى تواجه الإنسان بصفة عامة قضية الإيمان بالله إذ لا يستطيع الإنسان أن يعيش إلا فى ظلال هذا الإيمان مهما تنوعت مشاربه ، ومهما كانت نوعية الإله الذى يختاره الإنسان لنفسه :

- هناك من عبدوا الأوثان .
- وهناك من سجد للشمس والقمر ولغيرهما من مظاهر الطبيعة .
- ومن الناس من اتخذ له آلهة من جنس الحيوان .
- ولعلنا نرى اليوم من يزعمون أنهم غير مؤمنين بإله يجعلون الطبيعة وقانونها ــ أو المصادفة وحكمتها .. آلهة غير مسماة .. ولكنها الفطرة ولهذا فقد حرصت الرسالات السماوية على أن توضح للناس حقيقة الألوهية .. وإذا طالعنا أى كتاب من كتب الرسالات السماوية السابقة على الإسلام نجد أن الحديث عن الإله يستغرق جانبا كبيرا منها .. وقد اكتشف إنجيل برنابا ليضيف إلى القضية التى نحن بصددها بعداً هاما وجديدا .. ولقد تحدث مترجم كتاب برنابا عن القضايا التى يخالف أو يعارض فيها الأناجيل الأخرى وعدها أربع قضايا .

« ويباين هذا الانجيل الأناجيل الأربعة المشهورة فى عدة أمور جوهرية »

أولهـا :

قوله ان يسوع أنكر الوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من ستمائة الف جندى وسكان اليهودية ..

من رجال ونساء وأطفال ..

والثــانى :

أن الابن الذى عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إســماعيل لا إسحاق وأن الموعد إنما كان بإسماعيل .

والثالث :

أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل محمد وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية الذيول وقال إنه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطورا فوق بابها بأحرف من نور لا إله إلا الله محمد رسول الله .

والرابع :

أن يسوع لم يصلب بل حمل إلى السماء وأن الذى صلب إنما كان يهوذا الخائن الذى شبه به فجاء مطابقا للقرآن [1] ..

وسنتناول بالبحث ثلاث قضايا من هذه القضايا الأربعة وسنبدأ بالقضية الأولى موضوع هذا الفصل حبث يستتبع ذلك مناقشة البنوة وهل تليق بالله سبحانه وتعالى .. ؟ ثم نتبع هذه القضية بالبحث فى القضية الثالثة .. وهى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم .. ثم فى قصة الصلب وحقيقتها ..

أما القضية الثانية .. قضــية الذبيح إسماعيل أو إسحاق فهى قضــية مجالها البحث التاريخى اذ لا تمس العقيدة فى شىء ، وفى سياق البحث فى الألوهية سأعرض أولا النصوص الواردة بخصوصها فى الأناجيل الأربعة ونرى إن كان فيها ما يوافق ما جاء فى إنجيل برنابا أم لا .. ثم ما أوجــه الاتفاق والاختلاف ثم نعقب على هذه النصوص بما يوضــح الحقائق إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر مقدمة انجيل برنابا لمترجمه د. خليل سعادة .

القضـــية الأولى

المســـيح نبى مرسل

أولا :

المسيح فى الأناجيـــل الأربعة

(ا) التصريح بأنه نبى مرسل :

● يذكر [لو ٧ : ١١ ــ ١٧] أن المسيح ذهب إلى مدينة تدعى نايين وأقام ابن الأرملة ..

« فقال ايها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه الى أمه . فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه » ..

فالناس قد مجدوا الله .. وسبحوه شاكرين نعمته إذ أرسل لهم هذا النبى العظيم ..

● يذكر [مت ٨ : ٢٣ ــ ٢٧] ..

« ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم فتعجب الناس قائلين أى انسان هذا فان الرياح والبحر جميعاً تطيعه » ، وفى هذا القول دلالة على أن المسيح مجرد انسان نبى رسول وليس سوى ذلك ..

● يذكر [مت ١٣ : ٥٤ ــ ٥٨] ..

« وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه ، وفى بيته . ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم » ..

[وأيضا مر ٦ : ١ ــ ٦]

وهذه دلالتها واضحة لا تحتاج إلى تعليق على اعتراف المسيح بنبوته ..

● يذكر [يو ٦ : ١٤ — ١٥] .

« فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم . وأما يسوع فاذ علم انهم مزمعون ان يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف ايضا الى الجبل وحده » ..

● يذكر [يو ١٢ : ٣٧ — ٥٠] ..

« فنادى يسوع وقال الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى . والذى يرانى يرى الذى أرسلنى » ..

أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة . وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم من رذلنى ولم يقبل كلامى فله من يدينه . الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير . لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم . وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية . فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم » .

وفى هذا النص عدة أمور نود أن نعرض لها ببعض التفصيل :

١ — إن هذا إعلان واضح نادى به المسيح على الملأ .

٢ — بين المسيح فى هذا الإعلان حقيقة نبوته ورسالته « الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى » أى أن الإيمان ليس موجها للمسيح عليه السلام لأنه مجرد رسول مبلغ عن الله فمن آمن بالمسيح الرسول فهو يؤمن بالذى أرسله واحداً .. وتبقى للمسيح عظمة الرسالة .

٣ — (والذى يرانى يرى الذى أرسلنى) قد يشتبه مثل هذا القول على البعض فيظن أن المسيح يقصد أنه ابن الله كلا ذلك أن المقصود بالفعل « يرانى » أى الذى يؤمن بى ويرى الحق فيما أرسلنى الله به .. وإلا فهو أعمى عن الحق .. فالذى يرى المسيح حقا أرسل بالحقيقة يرى ويؤمن بالذى أرسله يدل على ذلك ما سيأتى من نفس العبارة .. « من رذلنى .. فله من يدينه » وهذا واضح كل الوضوح فى اعتراف المسيح لنفسه بالرسالة .

٤ ـ يزداد وضوح أمر الرسالة فى هذه العبارة « أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة » نعم فإن الرسالة نور يأخذ بيد الإنسان حتى لا يبقى فى ظلمة الضلال والحيرة .

٥ ـ « وان سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم » ..

وهذه كذلك غاية فى الوضوح أنه عليه السلام ـ برسالته ـ جاء ليخلص العالم كما فعل غيره من أنبياء الله المرسلين وهو ليس له سلطان على الناس أو جبروت على من لم يؤمن « لم آت لأدين العالم » .. وهذا بلا شك واضح فى إثبات رسالته عليه السلام ، وأنه مجرد هاد أرسله الله تعالى كما أرسل غيره من الرسل صلى الله عليهم أجمعين .

٦ ـ « من رذلنى ولم يقبل كلامى فله من يدينه » ..

أرأيت كلاما أكثر صراحة من هذا وأثبت فى الحكم بالرسالة لعيسى عليه السلام ؟ .. إن من لم يقبل كلام المسيح (وهو رسالته كما سيوضح بعد) فله من يدينه وهو الله تبارك وتعالى .. وهكذا تتحدد الأدوار بوضوح لا لبس فيه ولا خفاء .. فالرسول رسول لا يملك أن يدين أحدا والإله وحده هو صاحب السلطان الذى يدين الناس ويجزيهم الجزاء المناسب على رفض الرسالات ..

٧ ـ « الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير » وهذا معناه أن الرسل شاهدون على الناس بما بلغوهم من أقوال وشرائع .. يأتون يوم القيامة ـ فى اليوم الأخير ـ يشهدون بأنهم بلغوا رسالات الله وتصير الرسالة حجة على الكافرين . وفى هذا دلالة بالغة على اتصاف عيسى بالنبوة وأنه عبد الله ورسوله .

٨ ـ وتأتى هذه العبارات تتجاوب فيها الدلالات تجاوبا قوياً على أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله :

« لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم » ومن عساه يكون هذا الذى لا يتكلم من نفسه

إلا أن يكون عبداً رسولا ؟ والعبارة صريحة فى منطوقها بإثبات الرسالة لعيسى :

« لكن الأب الذى أرسلنى .. » فهو عبد رسول .. وقد أعطاه الله وصية بما يقول وبماذا يتكلم ..

فهو لا ينطق من عند نفسه .. بل أوحى إليه الله بما يقوله للناس ..

٩ — « وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية » ..

أى من اتبع الرسالة فإنه يظفر بالجزاء العظيم فى الجنة خالداً فيها وهذه شهادة من عيسى بصدق رسالته حتى لا يتطرق الشك إلى أحد أنه يقول ما لا يعتقد .

١٠ — وأخيراً نقرأ هذه العبارة (فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم) وهذا تأكيد لكل ما سبق من أنه عبد الله ورسوله .

عرضنا فيما سبق للعبارات التى وجدنا فيها تصريحاً بأن عيسى (أو يسوع حسب تسميتهم) عبد لله ورسول من رسل الله وقد ظهرت عبوديته فى خضوعه لأوامر الله وعدم خروجه على ما يوحى إليه من الله .. كما ظهرت عبوديته فى إظهار أنه لا سلطان له على أحد وأنه مبلغ لرسالات الله تعالى .. وأما الجزاء فأمره إلى الله سبحانه وتعالى .. وهذه المظاهر قد لاحظناها فيما سقناه من عبارات الأناجيل التى استشهدنا بها فى موضوعنا ..

وهناك الكثير من مظاهر العبودية صرفنا النظر عن ذكرها لأنها ليست فى موضوع التصريح بالنبوة وإن كانت شاهدة عليها .. فمثلا حينما شفى المريض أمره بأن يقدم القربان .. ويعرض نفسه على الكاهن « اذهب وأر نفسك للكاهن » !!!

ثم إنه ذهب وتعمد على يدى يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) وذلك إشعاراً بأنه جاء فى ظلال ناموس موسى عليه السلام وما جاء لينقضه بل ليتمه ويكمله كما صرح بذلك فى الإنجيل .. وهذا واضح لا شك فيه ..

ويبقى الآن أن نستعرض تلك النصوص التى وردت فى إنجيل برنابا بخصوص نبوة عيسى بن مريم عليه السلام ..

* * *

ثانيـــاً :

فى انجيـــــل برنابا

● يذكر برنابا قصة تحول الماء إلى خمـــر على يد يســـوع (عيسى ابن مريم) وفيها :

« فأجاب الخدمة : يوجد هنا رجل قدوس الله لأنه جعل من الماء خمـــراً .. غير أن مدير الحفلة ظن أن الخدمة سكارى . أما الذين كانوا جالسين بجانب يســـوع فلما رأوا الحقيقة نهضوا عن المائدة واحتفوا به قائلين : « حقا انك قدوس الله ونبى صادق مرسل الينا من الله » ..

حينئذ آمن به تلاميذ . وعاد كثيرون إلى أنفسهم قائلين « الحمد لله الذى أظهر رحمة لإسرائيل » [1] .

والحديث لا يحتاج من القارىء إلى تعليق .. كما سبق أن علقنـــا على ما اقتبسناه من عبارات الأناجيل الأربعة فلقد كفانا مؤلف الإنجيل (برنابا) مؤونة التعليق إذ صرح كما علمنا بأنه يريد بيان حقائق نبوة عيسى وأنه عبد رسول وليس إلها أو ابن إله ..

● ويصرخ المرضى بالبرص « أعطنا صحة » ويجيبهم المسيح :

« أيها الأغبياء أفقدتم عقلكم حتى تقولوا : أعطنا صحة . ألا ترون أنى انسان نظيركم ؟ ادعوا الهنا الذى خلقكم وهو القدير الرحيم يشفكم » ..

فأجاب البرص بدموع :

« اننا نعلم انك انسان نظيرنا . ولكنك قدوس الله ونبى الرب فصل لله ليشفينا » (٢) ..

---

(١) انجيل برنابا ص ١٧ (الفصل الخامس عشر) .

(٢) نفسه ص ١١ ، ص ٢٥

● وفى تسكين المسيح للعاصفة « فدنا منه تلاميذه وأيقظوه قائلين : (يا سيد خلص نفسك فإننا هالكون وأحاط بهم خوف عظيم بسبب الريح الشديدة التى كانت مضادة وعجيج البحر .. فنهض يسوع ورفع عينيه نحو السماء وقال « يا ألوهيم الصباؤت [٣] ارحم عبيدك . ولما قال يسوع هذا سكنت الريح حالا وهدأ البحر فجزع النوتية قائلين « ومن هو هذا حتى إن البحر والريح يطيعانه » .. وسمع الناس بالأمر فى الناصرة فطلبوا من المسيح أن يعطيهم آية من الآيات هنا فى وطنه فأجاب يسوع « يطلب هذا الجيل العديم الإيمان آية ، ولكن لن تعطى له لأنه لا يقبل نبى فى وطنه » [٤] .

وهنا يعترف المسيح بأنه نبى .. وهذا الاعتراف لم ينفرد به (برنابا) فى روايته بل هو فى (يو ٤ : ٤٤) .

● شكا قائد المائة :

« يا سيد ان ابنى مريض فارحم شيخوختى » ..

أجاب يسوع :

« ليرحمك الرب اله اسرائيل » ..

ولما كان الرجل منصرفا قال يسوع انتظرنى لأنى آت إلى بيتك لأصلى على ابنك » ، أجاب قائد المائة :

« يا سيد انى لست أهلا وانت نبى الله أن تاتى الى بيتى تكفينى كلمتك التى تكلمت بها لشفاء ابنى . لأن الهك قد جعلك سيداً على كل مرض كما قال لى ملاكه فى المنام » .. [انظر متى ٨ : ٥ — ١٥] .

● فى مدينة نايين كان أهل المدينة يحملون إلى المقبرة ابنا وحيداً لأرملة

---

(٣) الدعوة بلسان عمران .. كما ذكر فى الحاشية أو ما هو قريب منه .

(٤) انجيل برنابا ص ٢٦ ، ٢٧

ولما رأوا يسوع تضرعوا إليه من أجل الميت « طالبين أن يقيمه لأنه نبى . وفعل تلاميذه كذلك فخاف يسوع كثيراً . ووجه نفسه لله وقال : خذنى من العالم يا رب لأن العالم مجنون وكادوا يدعوننى إلها . ولما قال ذلك بكى .

حينئذ جاء الملاك جبريل . وقال لا تخف يا يسوع لأن الله أعطاك قوة على كل مرض حتى إن كل ما تمنحه باسم الله يتم برمته . فعند ذلك تنهد يسوع قائلا لتنفذ مشيئتك أيها الإله القدير الرحيم . ولما قال هذا اقترب من أم الميت وقال لها بشفقة لا تبكى أيتها المرأة . ثم أخذ يد الميت وقال : « أقول لك أيها الشاب باسم الله قم صحيحا . فانتعش الغلام . وامتلأ الجميع خوفا قائلين : لقد أقام الله نبيا عظيما بيننا وافتقد شعبه » (٥) .

● ولما بلغ يسوع بلاده داع فى جهة الجليل كلها أن يسوع النبى قد جاء إلى الناصرة .. حتى أن غنيا مصابا بالشلل لما لم يمكن ادخاله فى الباب حمل إلى سطح البيت الذى كان فيه يسوع وأمر القوم برفع السقف ودلى على ملاء أمام يسوع . فتردد يسوع دقيقة ثم قال : لا تخف أيها الأخ لأن خطاياك قد غفرت لك . فاستاء كل أحد لسماع هذا وقالوا من هذا الذى يغفر الخطايا . فقال حينئذ يسوع « لعمر الله إنى لست بقادر على غفران الخطايا ، ولا أحد آخر ولكن الله وحده يغفر ، ولكن كخادم لله أقدر أن أتوسل إليه لأجل خطايا الآخرين » وتتوالى معجزات السيد المسيح عليه السلام .. « فحينئذ مجدوا الله قائلين : لقد افتقدنا الله بنبيه فإن الله أرسل لنا نبيا عظيما » (٦) .

● وتتوالى اعترافات المسيح بأنه نبى مرسل من الله الواحد ، ويرسل تلاميذه لإسرائيل « فحينئذ انحنوا فوضع يده على رأسهم قائلا باسم الله أبرئوا المرضى أخرجوا الشياطين وأزيلوا ضلال إسرائيل فى شأنى مخبريهم ما قلت أمام رئيس الكهنة . فانصرفوا جميعهم خلا من يكتب (أى برنابا) ويعقوب ويوحنا . فذهبوا فى كل اليهودية مبشرين بالتوبة كما أمرهم يسوع

---

(٥) المصدر السابق ص ٧٣ ، ٧٤

(٦) المصدر السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩

مبرئين كل نوع من المرض حتى ثبت فى إسرائيل كلام يسوع ان الله أحد وأن يسوع نبى الله إذ رأوا هذا الجم يفعل ما فعل يسوع من حيث شفاء المرضى » (٧) .

وهكذا تعلن الحقيقة أن يسوع نبى مرسل إذ لا يعقل أن يقال عن تلاميذه آلهة لأنهم أبرءوا المرضى وأخرجوا الشياطين كما يفعل ، وإذا ثبت ذلك ففيه دليل على أن المسيح بشر مثلهم نبى من الله تعالى ..

● قال أهل المدينة للمرأة السامرية .. « إننا أكثر إيمانا بكلامه وآياته منّا بما قلت . لأنه قدوس الله حقا ونبى مرسل لخلاص الذين يؤمنون به » (٨) .

ونستطيع أن نضع الملاحظات الآتية أمام القارىء كى تكون الصورة واضحة الملامح فى ذهنه :

١ ــ أن الحديث فى إنجيل برنابا عن النبى الرسول متسق تماما مع المنطق والعقل من جهة كما أنه متفق كذلك مع الشريعة والنقل فإن المطالع لعبارات إنجيل برنابا يستطيع أن يتبين التشابه ــ والمطابقة ــ مع ما ورد فى باقى الأناجيل .. ومع ما ورد كذلك فى العهد القديم الذى يعتبر متمما للأناجيل .. أو على الأصح يعتبر أساساً للأناجيل .. ويتضح هذا أكثر بالرجوع إلى نص إنجيل برنابا وإشارات المترجم فى الهامش لمثيلاتها فى العهدين القديم والجديد ..

٢ ــ أن المسيح كان حريصا وفى كل وقت على إظهار بشريته والتأكيد عليها أمام كل الناس سواء فى الهيكل أمام الكهنة .. أو أمام التلاميذ ..

٣ ــ لقد كان الناس يعرفون حقيقة المسيح بدليل إعلانهم أكثر من

---

(٧) المصدر نفسه ص ١٩٠ ، ١٩١

(٨) المصدر نفسه ص ١٢٥ : ١٢٨

مرة بل وحرصهم على إعلان أن المسيح نبى من الأنبياء بدليل ما قرأناه فى الأناجيل جميعا برنابا وغيره .

٤ ــ قرأنا فى برنابا استياء الناس عندما قال المسيح عليه السلام للغنى « إنه قد غفرت ذنوبك » فقالوا من هذا الذى يغفر الذنوب ؟ فوضح لهم المسيح الحقيقة وهى أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا التضرع لله تعالى كخادم له سبحانه فيشفى الله المريض ويغفر للخاطىء ..

٥ ــ يظهر فى رواية برنابا تخوف المسيح عليه السلام من أن يتخذه الناس إلهاً من دون الله تعالى ..

وقد رأينا أن الملاك طمأنه أن الله يفعل له كل شيء ذكر اسم الله عليه إكراما له ..

وإذا كنا قد رأينا هذا التخوف صريحا واضحا يسوقه برنابا فى إطناب وتفصيل فإننا نجده يظهر فى الأناجيل الأربعة على استحياء كقوله ردا على من قال له أيها المعلم الصالح .. لماذا تدعونى صالحا ليس هناك صالح إلا الله وحده . وكقوله مراراً فى كافة الأناجيل إنه ينفذ مشيئة من أرسله .

٦ ــ من المعلوم بداهة أن المعجزات دليل نبوة البشر وليست دليل ألوهية .. والمسيح فى هذا ليس بدعاً من الرسل .. ولكنه واحد منهم .

وهكذا نرى أن الأناجيل قد اتفقت على حقيقة الرسالة فالمسيح نبى مرسل حسب رواية برنابا وروايات الأناجيل الأربعة . وجميع هذه الروايات تتفق مع منطوق العهد القديم ونبوءاته فلابد أنها الحق الصريح .. وما سواها باطل مردود ..

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم ..

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (٩) ..

صدق الله العظيم

---

(٩) المائدة : ٧٥

القضـــية الثانيـــة

الاله الواحـــــد

إن أمر الحقيقة الإلهية لهو أهم الأمور فى حياة الإنسان على الإطـلاق ، وقد ألمحنا إلى ذلك عند الحديث عن نبوة عيسى ابن مريم عليه الســلام ، ويهمنا أن نشير هنا إلى موقف المسيحية اليوم من الإله .. فهو فى نظر أتباعها متعدد الأقانيم ثلاثة فى واحد أو واحد فى ثلاثة كمـا يزعمـون والمطلع على تصور المفكرين المسيحيين لحقيقة الإله فى المسـيحية لا يملكه إلا التعجب والدهشة لما يجده من غموض وتناقض محيرين إذ لا تستطيع أن تحتكم فى بيان ماهية الإله عندهم إلى حكم العقل .. أو نصوص النقل فحكم العقـل لا يسعف القائلين بالثالوث .. كما أن النصوص المقدسة عنـدهم لا تعطى حكما يقينيا فى ذلك ، وإذا خرج التصور عن حكم العقل وإدراكه وإذا خرج أيضاً عن منطوق النصوص المقدسة ومفهومها فإن هذا يعنى بطلان التصور من أساسه .. فإذا أضفنا إلى ذلك أن التصور الثالوثى بدع فى الرسالات السماوية على إطلاقها فلم تأت رسالة ولم ينطق رسول بما جاءت به المسيحية .. فمعنى هذا ــ أيضا ــ أن هذه البدعة لا أساس لها من الصحة وإنمـا هى فكر دخيل على حقيقة الرسالة المسيحية .

وتزداد هذه الحقيقة وضوحا إذا عرفنا أن القول بالثالوث كان عقيـدة راسخة عند بعض الديانات الوثنية السابقة على المسيحية والتى لا صـلة لها بالديانات السماوية [1] ..

وبهذا المفهوم نقرأ ما جاء فى إنجيل برنابا .. فقد كتب بأسلوب يعيـد

---

(1) راجع فى ذلك : محاضرات فى النصرانية ــ والديانات القديمة للامام محمد ابو زهرة ومقارنة الأديان ــ المسيحية ــ وديانات الهند القديمة د. احمد شلبى وغيرها .

إلى دين المسيح انتساءه واتساقه مع الرسالات السماوية ويبعده عن التفكير الأرضي البشرى .. إنه عودة بالمسيحية إلى نبع الوحى الإلهى بعيداً عن تصورات البشر ، فهو يتحدث بإخلاص عن الله الواحد الذى لا يشبهه شيء .. الإله الواحد الذى أكدت التوراة ــ العهد القديم ــ على وحدانيته ، ولهذا فلقد كان إنجيل برنابا أكثر اتساقا فى عرضه لحقيقة الألوهية مع شريعة موسى وما جاءت به التوراة ، وكان برنابا شاهد صدق على أن عيسى ابن مريم جاء متمما للناموس وليس ناقضا له . بعكس غيره من الأناجيل التى لم تبال بالتناقض بينها وبين التوراة وحقائقها ، ولا يشفع لها أن أصحاب ــ وأتباع ــ هذه الأناجيل ضموا إليها التوراة لتصير هى العهد القديم بينما الأناجيل تحمل لقب العهد الجديد .

ولسنا فى هذا نصدر حكما مسبقا بأن كل ما فى الأناجيل الأربعة المعروفة مرفوض .. بل إننا سنجد فيها دلالات وإشارات على أن الإله واحد لا شريك له .. ولكنها دلالات قد خنقتها أحاديث كثيرة لا تمت إلى التوحيد والرسالة الإلهية بصلة ، ولكننا سنحاول أن نتلمس الطريق الصحيح للحقيقة ، ومعالمها ..

- الاتفاق مع ما جاءت به الرسالات .

- الائتناس بما ورد فى العهد القديم مما جاء صريحا فى حقيقة الإله الواحد ..

فإذا اتفق كل ذلك مع ما جاء فى الإنجيل عددناه صحيحاً وما خرج عنه فهو فاسد إذ لا دليل عليه إلا فى أوهام أصحابه .. ولا يعقل أن تكون دعوة المسيح منافية لدعوات الرسل السابقين فتنفرد وحدها ــ دون غيرها بالقول بالثالوث .. والآن إلى النصوص الدالة على الوحدانية .

- يذكر مرقس :

« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما راى انه اجابهم حسنا ساله اية وصية هى اول الكل ؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى :

اسمع يا اسرائيل : الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك » .. [مر ١٢ : ٢٠] .

● يذكر يوحنا قول عيسى عليه السلام فى خطاب الله هكذا :

« **وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته »** .. (يو ١٧ : ٣) .

● يذكر مرقس :

« **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحـد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن الا الأب »** .. (مر ١٣ : ٣٢) .

وهذه العبارات جميعها واضحة الدلالة على إعلان المسيح للقوم أن الله واحد لا شريك له وقد وجب له الحب .. وهو واهب الحياة الأبدية وأنـه علام الغيوب الذى لا يغيب عنه شيء وهناك الكثير من العبارات الدالة على الوحدانية وكلها تقطع باتفاق رسالة المسيح عليه السلام فى بيـان حقيقـة الألوهية مع ما جاء به العهد القديم (التـوراة) وما جاءت به الرسـالات الإلهية عبر الأجيال وقد وضح برنابا فى روايته وحدة الرسالة .. فإن الدين واحد والله واحد ولذا لابد أن تكون رسالته واحدة وقد سأل أندراوس : ولكن كيف يعرف الحق ؟

فأجاب يسوع « كل ما ينطبق على كتاب موسى فهو حق فاقبلوه . لأنه لما كان الله واحدا كان الحق واحدا فينتج من ذلك أن التعليـم واحد وأن معنى التعليم واحد فالإيمان إذا واحد . الحق أقول لكم أنه لو لم يمح الحق من كتاب موسى لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثانى . ولو لم يفسد كتاب داوود لم يعهد الله بإنجيله إلىَّ .لأن الرب إلهنا غير متغير ولقد نطق رسالة واحدة لكل البشر . فمتى جاء رسول الله يجيء ليطهر كل ما أفسد الفجار من كتابى » [٢] .

إن الحق واحد لا يتعدد لأنه صادر عن الله الواحد ، وتتابع الرسـل

---

(٢) برنابا ص ١٨٨

عليهم السلام لا يعنى سوى إصلاح ما امتدت إليه أيدى البشر بالفساد والإفساد .

ويتحدث المسيح ــ كما فى رواية برنابا ــ عن حقيقة الإله الواحد . حديثا يستند إلى ما جاء فى أسفار التوراة .. ويستشهد فى ذلك بالكاهن .. الذى يدور بينه وبين المسيح الحوار التالى :

ــ فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب فى عهد الله الحى وميثاقه أن ليس لإلهنا بداية ولا يكون له نهاية .

ــ أجاب الكاهن : لقد كتب هكذا هناك .

ــ فقال يسوع : إنه كتب هناك أن إلهنا قد برأ [٣] كل شىء بكلمته فقط

ــ فأجاب الكاهن : إنه لكذلك .

ــ فقال يسوع : إنه مكتوب هناك أن الله لا يُرى وأنه محجوب عن عقل الإنسان لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير .

ــ فقال الكاهن : إنه لكذلك حقا .

ــ فقال يسوع : إنه مكتوب هناك كيف أن سماء السموات لا تسعه لأن إلهنا غير محدود .

ــ فقال الكاهن : هكذا قال سليمان النبى يا يسوع .

ــ قال يسوع : إنه مكتوب هناك أن ليس لله حاجة لأنه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص .

ــ قال الكاهن : إنه لكذلك .

ــ قال يسوع : إنه مكتوب هناك أن الهنا فى كل مكان وأن لا إله سواه ، الذى يضرب ويشفى ويفعل كل ما يريد ..

---

(٣) برأ : أى خلق

ـ قال الكاهن : هكذا كتب .

حينئذ رفع يسوع يديه وقال : أيها الرب إلهنا هذا هو إيمانى الذى آتى به إلى دينونتك شاهدا على كل من يؤمن بخلاف ذلك (٤) .

ونجد فى هذا الحوار وضوح الفكرة .. والتدليل عليها من المكتوب فى مزامير داود وباقى أسفار التوراة مما يتسق ومنطوق الرسالة ومعقولها ..

وهذا الحوار لا يتناول مطلق التوحيد ككلمة مبهمة يحلو لبعض الناس أن يدخلها فى ثلاث أو يخرج منها الثلاث بل حددت معنى التوحيد الحق .. فالله واحد لا تحدده حدود ولا تسعه السموات .. لا يعتريه نقص .. وهو الفعال لما يريد ..

وهكذا اتفقت كلمة الأناجيل الخمسة على التوحيد مما يدل على أن الخروج عن هذا الخط هو خروج على حقيقة الرسالة ولهذا فإن دعاوى التثليث يجب أن ترد إلى هذا الأصل بعد ما رأينا من اعتراف المسيح بأنه عبد الله ورسوله اعترافا امتد فى كافة الأناجيل كذلك ، فلم يعد هناك مسوغ لمن يقول عنه إنه .. شريك فى الملك ولهذا فإن حقائق الأناجيل تدمغ الأباطيل وترد القول بالثالوث أو غير ذلك .. لأن الله واحد لا شريك له ، ولا سلطان لبشر أن يزعم خلاف ذلك مهما ادعى لنفسه من عصمة .. لأن الأصل فى الإيمان الوحى الصادق .. ونحن نؤمن برسالة عيسى عليه السلام .. رسولا إلى بنى إسرائيل قدم لهم المعجزات .. وأيده الله بها حتى يؤمنوا به ولا يشركوا به شيئاً .. فإذا جاء من يقول خلاف ذلك فإنه مرفوض بأمر الشريعة .. وبأمر العقل كما وضحنا ذلك فى موضعه ..

والحمد لله رب العالمين



---

(٤) برنابا ص ١٤٤ ، ١٤٥

القضـــية الثالثـــة

البشـــارة بالنبى ﷺ

هل صرحت النبوءات القديمة باسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ هذا ما يخبرنا به القرآن الكريم وتؤكده روايات المؤرخين ورواة الأحاديث النبوية الشريفة .. ونحن نؤمن بذلك ونؤيده فهو الحق ، وجاء اكتشـاف إنجيل برنابا وما فيه من تصريح باسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم تأييداً حاسما يقطع كل شك لدى جميع الباحثين ، ويأتى هـذا التصريح متطابقا تماما مع ما ورد فى العهدين القديم والجديد من نبوءات بعضها صريح ساطع سطوع الشمس لا ينكره إلا صاحب فهم سقيم أو حس متبلد ..

وهكذا تثبت ـ لغير المسلمين ـ دائما صدق أخبار القـرآن الـكريم ونبـوءاته فما من خبر سـاقه عن الأقدمين إلا وهو صـادق لا يرقى إليه الشك ، وما من نبوءة يضعها بين يدى قارئه إلا وقد تحققت أو ظهر ما يثبت أنها جـديرة بالتحقيق .. فحينما أخبر القـرآن على لسان عيسى بن مريم قوله « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .. كان هذا الإخبـار عن حقيقة حدثت فعلا ونطق بها المسيح ورواها الحواريون عنه ، وإن حاول البعض إغفالها .

● **ورود اسم محمد فى نبوءات الأنبياء :**

سنعنى هنا ـ إن شاء الله تعالى ـ بتوضيح حقيقة أن اسم النبى محمد قد ورد نصا ولفظا فى نبوءات الأنبياء .. ويجب أن نضـع أمام أعيننـا أن ما نقرأه من أخبار الأولين فى التوراة والإنجيل الموجودين حاليا .. ما هو إلا ترجمة فقط .. والترجمة لا تعطى نفس مدلول الكلمات التى تحملها فى لغاتها الأصلية وإنما يتدخل فى الترجمة .. ثقافة المترجم واتجاهاته .. ولهذا فإن المترجم عادة يحاول أن يعطى التصوير العام للفكرة الأصلية .. باختيار

الألفاظ القريبة .. والتى تعطى هذا التصـوير كما يفهمه ولهـذا فإن تعبير « السـلام عليـكم » مثـلا يمـكن أن ينقـل إلى الانجلـيزية هـكذا

The Peace on you أو The Peace to you

فإذا صرفنا النظر عن التعبير العربى ، وحاولنا أن ننقل التعبير الانجليزى إلى العربية مرة أخرى .. فإنه يمكننا أن ننقله إلى :

ــ السلام عليك ــ أو السلام عليكم ..

ــ السلام إليكم .. أو السلام إليك .

وهذه صورة مبسطة جدا للاختلافات التى يمكن أن تحدث فى الترجمة ولهذا .. فإن علينا أن ندرك أن الترجمة ليست صورة صادقة تماما للنسخة الأصلية .. وينطبق هذا المبدأ أكثر وأكثر .. على ترجمة الكتب المقدسـة التى لا يكون هم المترجم فيها نقل الصورة الدقيقة للمؤلف .. بقدر ما يكون همه بث تصوره العقدى ..

ولقد وضح لنا هذه الحقيقة بعض الأفاضل الذين هداهم الله للإسلام فأعطونا المصطلحات اللغوية الحقيقية الدالة فى لغاتها على لفظ (أحمـد ــ محمد ــ محمود) وهى من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم .. ونسوق من هذه المصطلحات ما يؤكد وجود النبى صلى الله عليه وسلم مسمى باسمه الحقيقى فى النبوءات السابقة وعليه فلا يكون ما جاء به برنابا بدعا .. بل يكون تأكيداً وتأييداً لحقائق الكتاب المقدس وهو ما رأينـا برنابا يوقف قلمه من أجله ..

أولا ــ وجود لفظ محمد فى التوراة :

هذا اللفظ موجود بصورته فى التوراة بطريقة نطقه بالعبرية ففى الطبعات القديمة نقرأ فى سفر التكوين :

« وعن اسماعيل سمعتك ها أنا باركته وايمنته بما د ماد » ..

ولفظ (ماد ماد) قريب جداً فى النطق من لفظ (محمـد) مع تخفيف

الحاء إلى ألف ممدودة شأن اللغة العبرية فى كثير من الألفاظ (سلام — شالوم بالعبرية) .

ولكن الترجمات الحديثة آثرت أن تحذف لفظ (ماد ماد) وتجعله (أمة كبيرة) واقرأ النص ..

« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه .. ها أنا أباركه وأثمره .. وأكثره كثيرا جدا » .

(بماد ماد) .. جعلتها الترجمة كثيرا جدا .. ويلاحظ هنا :

١ — أن الترجمة الحديثة صرفت النظر عن حرف الجر (الباء) وهو ذو مغزى فى الدلالة (.. بماد ماد أى بمحمد) .

٢ — ترجمت الكلمتان (ماد ماد) بلفظى (كثيرا جدا) ولا معنى لهذه الترجمة إذ إن اللفظتين لا اختلاف بينهما يجعل معنى احداهما (كثيرا) ومعنى الثانية (جداً) وهذا التعسف فى الترجمة يجعلنا نجزم بأن (ماد ماد) هو (محمد) .

ثانياً — لفظ محمد فى الانجيل :

يقدم الكتاب والمحللون فى علم مقارنة الأديان توضيحا لكلمة Paracl ete البارقليط وفى اليونانية هكذا Hepikahtoz وترجمته حماد وأحمد (أى كثير الحمد وهى أفعل التفضيل) [١] .

يقول الأنبا أثناسيوس « إن لفظ فارقليط إذا حرف نطقه قليلا يصير (بيريكليت) ومعناه الحمد أو الشكر وهو قريب من لفظ أحمد [٢] .

---

(١) راجع البرهان تاليف المستشار محمد عزت الطهطاوى .
محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل والقرآن تاليف : ابراهيم خليل احمد .
(٢) نبوءة محمد فى الكتاب المقدس د. أحمد السقا نقلا عن تفسير انجيل يوحنا للأنبا اثناسيوس .

وهكذا نرى أن لفظ أحمد موجود صريحا فى الإنجيل وإن كان أصحاب الإنجيل قد حاولوا أن يجعلوه (معزياً) آخر بمعنى روح القدس .. أو ما إلى ذلك) ..

وقد قدمنا لبحثنا بدلالات وجود لفظ محمد وأحمد فى التوراة والإنجيل كما هما الآن فى أيدى المسيحيين لنبين أن رواية (برنابا) ليست بدعا فى الروايات وإنما هى متفقة معها فى الأصل .. حيث اتفقت الأناجيل الخمسة والعهد القديم على البشارة بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم .. ثم يتميز إنجيل (برنابا) بالتفصيل والتوضيح كعادته فى الأمور الجوهرية للعقيدة ولعل فى هذا كفاية لإقناع الذين يرون أن التصريح باسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم دليل على أنه إنجيل منحول أو مكذوب لأنه لا يختلف فى هذا عن باقى الكتب المقدسة فى أيدى اليهود والنصارى .

ثالثاً ــ نبوءات الأناجيل :

هناك فى الأناجيل نبوءات لا تقل أهمية أو صراحة عما رأيناه وسنسوق نموذجا من الأناجيل الأربعة نتبعها بتعليقنا عليها ..

● يذكر متى (٣ : ١ ــ ١٢) :

وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية . قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات . فان هذا هو الذى قيل عنه باشعيا النبى القائل : صوت صارخ فى البرية اعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة ..

ويستمر قائلا :

فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون الى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى .. فاصنعوا اثماراً تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم ابا لانى أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم .

والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة . فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيداً تقطع وتلقى فى النار . أنا أعمدكم بماء التوبة ، ولكن الذى يأتى بعدى هو

أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار .

الذى رفشه (٣) فى يده وسينقى بيدره (٤) ويجمع قمحه الى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » ..

والمتأمل فى هذه النبوءة يستطيع أن يضع يده على عدة حقائق منها :

١ ـ يتحدث يوحنا المغتسل (يحيى بن زكريا) عن التوبة لأنه قد اقترب ملكوت السموات .. وإذا عرفنا أن المسيح قد عاصر يوحنا فإننا ندرك أن المراد بقوله « اقترب ملكوت السموات » ليس المسيح وإنما هو محمد صلى الله عليه وسلم .خصوصا وأن الأناجيل تصرح بأن دعوة المسيح كانت « قد اقترب ملكوت السموات .. » كما أن المسيح كان يطلب من تلاميذه أن يبشروا باقتراب الملكوت .. ، فهذا يدل على أن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم .. ولو أراد يوحنا أن يبشر بالمسيح لقال « قد جاء الملكوت » بدل « اقترب الملكوت » .

٢ـ يستشهد يوحنا بما تنبأ به أشعياء النبى « صوت صارخ فى البرية اعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة » وهذه النبوءة تتحدث عن الصوت الصارخ وهذا الصوت ليس يوحنا .. لأنه يشير إلى « هذا الذى قيل عنه .. » وهو المسيح عليه السلام الذى صرخ أعدوا طريق الرب ... الخ » وذلك تمهيداً للرسالة الخاتمة .. رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .. فالمسيح عليه السلام هو الذى يمهد طريق الرسالة الخاتمة ..

٣ ـ أن يوحنا يوبخ الصدوقيين والفريسيين على استنادهم لمجرد النسب لإبراهيم عليه السلام ويطالبهم بالعمل الذى يليق بالتوبة .. وألا يهربوا من العمل إلى الأوهام فإن إبراهيم عليه السلام لا يتشرف بانتسابهم إليه والحجارة أفضل منهم إن لم يؤمنوا « والله قادر على أن يجعل من الأحجار أبناء لإبراهيم » ..

---

(٣) رفشه : أى معوله وفأسه .

(٤) البيدر : هو الجرن الذى يدرس فيه القمح ثم يذى لفصل القمح عن التبن .

٤ ــ والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة » والشجرة هم بنو إسرائيل حيث عبر عنهم بالشجرة إذ تتابعت فيهم النبوات والرسالات وقد خصبهم الله بهذا الفضل ردحا من الزمن .. ولكن لما غلظت رقابهم حكم عليهم بالطرد .. وانتقلت الرسالة منهم إلى بنى إسماعيل .. ويوحنا يقول « والآن وضعت الفأس على أصل الشجرة » أى بدأ استئصالها من عالم الاصطفاء .. ويعلل لذلك بأن كل شجرة لا تصنع أثماراً جيدة تقطع وتلقى فى النار ..

٥ ــ وما دامت الشجرة قد بدأت تقطع فإن قاطع الشجرة هو المسيح عيسى بن مريم حيث هو آخر الأنبياء إلى إسرائيل .. وبه انتهت خصوصية الاصطفاء لهم ..

٦ ــ حينما يأتى نبى بعد أن يقطع الشجرة فهو يأتى من شجرة أخرى .. هى شجرة إسماعيل عليه السلام ..

٧ ــ يشير يوحنا إلى طريقة التعميد فى هذا الجانب وهى طريقة خاصة تليق بهذه الشجرة « أنا أعمدكم بماء التوبة .. » وهذه هى طريقة التعميد إلى زمن المسيح عليه السلام .. وهى الطريقة التى ستنتهى بانتهاء عهده . (ولا زال التعميد بالماء فى شريعة المسيحيين)

. ــ ولكن الذى يأتى بعدى ..

● هو أقوى منى .. وهذا إشارة إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم .. وليست إشارة للمسيح فلقد كان المسيح عليه السلام مطاردا حتى رفعه إلى السماء أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد هزم أعداءه .

● لست أهلا أن أحمل حذاءه ..

وهــذه العبارة ليست تنطبق على المســيح لأنه ذهب وتعمد على يدى يوحنا .. ولكنه ينطبق على خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم .

● هو سيعمدكم بالروح القدس .. وهــذا إشارة للشريعة الجديدة

التى لا تحتاج إلى طقوس .. بـل يكفى أن يقول الإنسان (لا إله الا الله محمد رسول الله) ليصير مؤمنا حقا .. تحل فيه روح الإيمان ..

● الذى رفشه فى يده ... الخ يذكرنا هذا بما جاء فى القرآن الكريم وصفا للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته « ومثلهم فى الإنجيل كزرع آخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .. » (٣)

● سينقى بيدره : والبيـدر هو الجرن أى المكان الذى يدرس فيه القمح .. وفى هذا إشارة دقيقة إلى الكعبة ومكة ويستطيع القارىء أن يربط بين البيدر .. ومكة لأن مكة هى المكان الذى يجتمع فيه المسلسون للحج .. والطواف حول الكعبة أشبه بما يحدث فى البيدر أو الجـرن (عندما كان يدرس الفلاح قمحه بالنورج الذى يدور فى حركة دائرية أشبه بالطواف حول الكعبة) وتتضح دلالة هذه الكلمة على مكة أكثر حينما نتأمل قوله « سينقى بيدره » أى سينظف الجـرن .. ولم يحدث أن نظف أحد بيدره إلا محمد صلى الله عليه وسلم . ذلك أن مكة بلد يحرم على المشركين دخوله والاقتراب من المسجد الحرام قال تعالى « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا .. » (٤) وهكذا نقى محمد صلى الله عليه وسلم بيدره .. وصـارت مـكة بلدا لا يرتاده إلا المسـلمون .. وتأمل استخدام السين للدلالة على المستقبل .. مما يؤكد أن المقصود محمد صلى الله عليه وسلم ....

وبخصوص تنقية البيدر فلم يتسن لعيسى ولا ليوحنا أن ينقى بيـدره كما نقى محمد بيدره ..

● ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ ..» والقمح هنا إشارة إلى من آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .. أما التبن فهم

---

(٣) الفتح ٢٩ والرفش الفأس أو ما قاربه من آلات الزراعة .
(٤) التوبة : ٢٨

الغثاء الذين لم يقبلوا رسالته عليه السلام .. فهم أهون على الله من الهباء .. فهو يحرقهم بنار الجحيم التى لا تطفأ .والآن أظننى قد أوضحت معالم هذه النبوءة التى جاءت على لسان سيدنا يحيى بن زكريا .. وهناك غيرها من النبوءات [٥] ولكن يكفينا ذلك للدلالة على الفكرة العامة .. ومن أراد الاستزادة من النبوءات فليرجع إليها فى مظانها ..

وقد يقول قائل إن المسيحيين لا يسلمون بهذه التفسيرات للنبوءات ولهم تفسيراتهم الخاصة .. ونقول : إننا عرضنا النصوص واستقينا منها الحقائق .. فإما أن تكون النصوص مستقيمة وسليمة فيكون ما استيقناه منها صحيحا .. ولا يهمنا بعد ذلك إذا تحكم متحكم بهواه .. وقال حسب رغباته فى النص وإما أن تكون النصوص غير مستقيمة فى اعتقادهم وتحتاج إلى آراء الناس للحكم عليها .. وعلى هذا تلزمهم الحجة بأن الواجب يحتم عليهم إعادة النظر فى هذه النصوص ورفضها ..

وإذا كان اليهود لا يسلمون للنصارى بتفسيراتهم لنصوص التوراة المبشرة بعيسى عليه السلام والنصارى لا يهتمون باعتراض اليهود فكذلك الشأن مع نبوءات الإنجيل والتوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : النبوءة فى انجيل برنابا :

يذكر إنجيل برنابا حقائق واضحة عن النبى صلى الله عليه وسلم ونشير إلى هذه الحقائق حسب نصوص إنجيل برنابا :

١ ــ فلما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها ((لا اله الا الله ومحمد رسول الله ..)) (٦) ..

٢ ــ وفى قصة الخروج من الجنة يقول « فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس . فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فبكى عند ذلك وقال :

---

(٥) راجع الدين والدولة فى اثبات نبوة النبى صلى الله عليه وسلم .. على بن ربن الطبرى ــ محمد نبى الاسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوى . محمد فى التوراة والأنجيل والقرآن للأستاذ ابراهيم خليل احمد وغيرها .

(٦) برنابا ص ٥٩

« أيهـــا الابن عسى الله ان يريـــد أن تأتى سريعـــا وتخلصـــنا من هـــذا الشقاء » (٧) ..

٣ ــ يبشر المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقول :

« ان الآيات التى يفعلها الله على يدى تظهر أنى أتكلم بما يريد الله . ولست احسب نفسى نظير الذى تقولون عنه . لأنى لست أهلا ان أحل رباطات جرموق او سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا . الذى خلق قبلى وسيأتى بعدى . وسيأتى بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية » (٨) ..

٤ ــ أما عن صـــفات رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم فيقول (٩)
« لذلك أقـــول لكم إن رســـول الله بهـــاء يسر كل ما صـــنع الله تقريبـــا لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة . روح الحكمة والقوة روح الخـــوف والمحبة . روح التبصر والاعتـــدال . مزدان بروح المحبة والرحمة . روح العدل والتقوى . روح اللطف والصبر التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه . ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم . صدقونى إنى رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كـــل نبى . لأن الله يعطيهم روحه نبوة . ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا : يا محمد ليكن الله معك وليجعلنى أهلا أن أحل حذائك . لأنى إذا نلت هذا صرت نبيا عظيما وقدوس الله ..» .

٥ ــ وأما عن هدف رسالة المسيح فيقول اجابة على تساؤلهم :

يا معلم لماذا تتركنا ... ؟ قال لهم :

« لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا . لأنى لست أنا الذى خلقكم بل الله الذى خلقكم يحميكم . أما من خصوصى فانى قد أتيت لأهيىء الطريق لرسول الله الذى سيأتى بخلاص للعالم . ولكن احذروا أن تغشوا لأنه سيأتى أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامى وينجسون انجيلى » (١٠) ..

---

(٧) برنابا ص ٦٣
(٨) برنابا ص ٦٥
(٩) برنابا ص ٩٦
(١٠) برنابا ص ١١٠

٦ — حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذى خلق كل الأشياء لأجله. الذى سيأتى من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام . وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر . وسيأتى برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به . وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا) (11)

وفى هذا من الدلالات الواضحة ما يغنى عن التعليق إلا أننا نذكر أن ما وضحه إنجيل برنابا هو نفسه ما أجمله أو أبهمته الأناجيل الأخرى فهو متفق معها فى الأصل كما فى غيرها من المسائل ..

* * *

(11) برنابا ص ١٤٧

القضيـــية الرابعـــة

شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

هذه القضية مما انفرد به إنجيل برنابا ولم أره فى باقى الأناجيل وذلك لأنه إذا كانت الأناجيل الأربعة المعروفة قـد حاولت التعمية على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم فمن الطبيعى أن تغفل الحديث عن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم .. أو أى كرامة من كراماته .. ولهذا فقد رأينا أن ننقل للقارىءبعض ما جاء فى إنجيل برنابا عن شفاعة النبى صلى الله عليـه وسلم يوم القيامة حتى ترتسم فى ذهنه الصـورة كاملة ..

أجاب يسوع على سؤال التلاميذ .

« أيذهب اذا المؤمنون الى الجحيم ؟ » ..

قال لهم :

« يتحتم على كل أحد أيا كان أن يذهب الى الجحيم بيد أن ما لا مشاحة (جدال) فيه أن الأطهار وأنبياء الله انمـا يذهبـون الى هنـاك ليشـاهدوا لا ليكابدوا عقابا .أما الأبرار فانهم لا يكابدون الا الخوف ، وماذا أقـول ؟ أفيدكم أنه حتى رسول الله يذهب الى هناك ليشاهد عدل الله فترتعد ثمـة الجحيم لحضوره . وبما أنه ذو جسد بشرى يرفع العقاب عن كل ذى جسد بشرى من المقضى عليهم بالعقاب فيمكث بلا مكابدة عقاب مدة اقامة رسول الله لمشاهدة الجحيم . ولكنه لا يقيم هناك الا طرفة عين .

وإنما يفعل الله هذا ليعرف كل مخلوق أنه نال نفعا من رسوله الله . ومتى ذهب إلى هناك ولولت الشياطين وحاولت الاختباء تحت الجمر المتقد قائلا بعضهم لبعض اهربوا اهربوا فإن عدونا محمداً قد أتى . فمتى سمع الشيطان ذلك يصفع وجهه بكلتا كفيه ويقول صارخا ذلك بالرغم عني لأشرف مني . وهذا إنما فعل ظلما .

ويستمر الحديث عن الجزاء حتى يقول « فحينئذ يكلم الرسـول الله ويقول : ربى وإلهى اذكر وعدك إلى عبدك بأن لا يمكث الذين قبلوا دينى فى الجحيم إلى الأبد . فيجيب الله « اطلب ما تريد يا خليلى لأنى أهبك كل ما تطلب .. فحينئذ يقول رسول الله : يارب يوجد من المؤمنين فى الجحيم من لبث سبعين ألف سنة . أين رحمتك يارب ؟ إنى أضرع إليك يارب أن تعتقهم من هذه العقوبات المرة .

فيأمر الله حينئذ الملائكة الأربعة المقربين لله أن يذهبـوا إلى الجحيم ويخرجوا كل من على دين رسول الله ويقوده إلى الجنة وهو ما يفعلونه . » [1]

وهذه النبوءة قد يتردد أمامها البعض لأنها جاءت مطابقة فى كثير من جوانبها لما ورد عن النبى صلى الله عليـه وسلم فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والحق أن هذا التطابق ربما يكون من دلائل صدقها ، فليس بعزيز على المسيح عيسى ابن مريم أن يتنبأ عن رسول الله وقد تنبأ عنه الأنبياء قبله مما هو مدون فى التوراة عن أشعياء وغيره ..

والحقيقة أن نبوءة المسيح تتسق اتساقا تاما مع إعجاز نبوته ورسالته .. فقد أعطاه الله القدرة على إبراء الأبرص .. وإحياء بعض الموتى .. فمن الطبيعى أن تمتد نبوءته عن محمد إلى موقفه من المؤمنين فى الآخرة وشـفاعة لهـم ولا تقتصر على بعثته ورسالته كما اقتصرت نبوءات غيره من الأنبياء عليهم السلام ، وهنا يأتى المسيح إلى توضيح جانب من جوانب رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لم يسبقه إلى توضيحه أحد ، وهذا جدير بمن خلقه الله من أنثى بلا ذكر وأحيا على يديه الموتى ..



(١) برنابا ص ٢١٠ ، ٢١١

الفهرس

البـــاب الرابع

من قضـــايا الايمان

رقم الايداع : ٤٤٣٢ / ١٩٨٦



هذا الكتاب

- أثار إنجيل برنابا الكثير من الجدل فى جميع الأوساط .
- فقد استمات فريق فى تكذيب الكتاب والحكم بتزويره .
- وفريق آخر هلل له .. وتمسك به .
- وفى محاولة للبحث عن الحقيقة نقدم لك هذا الكتاب .
- فهو جديد فى بابه ..

لأنه يعقد موازنة لأول مرة بين ماورد فى الأناجيل الأربعة وما ورد فى إنجيل برنابا ..

- هل هناك مجال اتفاق فيما بينها ؟ .
- هل هناك أوجه خلاف ؟ .
- أين الحقيقة فى موضوعات العقيدة ..؟ .
  - الألوهية .
  - الرسالات .
  - الفداء .
  - النبوءة بالرسالة الخاتمة .. رسالة محمد ﷺ
- هل اختلف إنجيل برنابا عن الاناجيل الأربعة ؟ .
- هل اتفق معها فى بعض الأمور ؟ .
  - هذا – وغيره – ما يجيب عنه الكتاب .



دار البشير

